

سلسلة الثقافة الإسلامية

(١٢٢)

الإمام زين العابدين
علي بن الحسين (عليه السلام)
دوره الثقافي والسياسي

القسم الأول

محمد مهدي الأصفى

اسم الكتاب: الإمام زين العابدين علي بن الحسين (ع)
دوره الثقافي والسياسي (القسم الأول)
المؤلف: محمد مهدي الآصفي
الطبعة الأولى: ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م
الكمية: ٥٠٠٠ نسخة
المطبعة: مطبعة مجمع أهل البيت عليه السلام النجف الأشرف

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق في بغداد
(٨٥٥) لسنة ٢٠١٣ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ
وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)

الأحزاب / ٣٣ .

الأبعاد الثقافية والسياسية والاجتماعية

لحياة الإمام زين العابدين عليه السلام

يتلخص منهج السياسة الأموية في تمكين آل أمية من فرض سلطانها على العالم الإسلامي، ومكافحة كل حالات الاعتراض المسلحة والسياسية... في كلمتين: الإرهاب والإفساد.

وواضع هذه السياسة هو معاوية بن أبي سفيان مؤسس هذه السلسلة، وورث يزيد بن معاوية هذه السياسة المزدوجة في تمكين بني أمية من الحكم من أبيه، وبالغ في إستخدام العنف والإفساد، وكان من أبرز حالات العنف والإرهاب في فترة ولايته - رغم قصرها - فاجعة كربلاء، ثم مأساة الحرة، ثم إحراق الكعبة المشرفة في ثلاث سنوات متواليات، تولى فيها الحكم من بعد أبيه.

وأمعن في الإفساد والفساد، وممارسة المجون والخلاعة، والشرب، وانتهاك حرمة الله حتى ضجّ منه الوفد الذي قصده من أبناء الصحابة من المدينة إلى قصره في الشام. ورغم بشاعة الجرائم التي إرتكبها يزيد بن معاوية بعد

أبيه من العنف والإرهاب والفساد والإفساد في الشام والعراق والحجاز... حتى آل الأمر إلى شهادة الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأنصاره بتلك الصورة المفجعة، وانتهاك حرمة مدينة رسول الله ﷺ، ومصرع الصحابة وأبناء الصحابة والتابعين بجوار الحرم النبوي، ورغم تظاهر الخبيث بانتهاكه حدود الله وحرماته في قصره إمام المسلمين، ولمّا يمر على وفاة رسول الله ﷺ صاحب الرسالة، غير خمسين عاماً فقط.

أقول: رغم ذلك كله لم يحدثنا التاريخ بشورات وانتفاضات شعبية واسعة تجاه السياسة الأموية في الإرهاب والإفساد الذي تم على عهد معاوية وابنه يزيد. لم يحدث شيء من هذا القبيل يومئذ في الحجاز والعراق والشام، غير حركة الاعتراض المسلحة التي قادها المختار الثقفي رحمه الله بعد هلاك يزيد في الكوفة، والثورة المسلحة المحدودة التي قادها التوابون في العراق. وأما فاجعة الحرة وما ارتكب يزيد بن معاوية فيها من الجرائم، فلا نعرف لها صدى وردود فعل واسعة في الأوساط الإسلامية يومئذ في العراق والشام والحجاز ومصر وغير ذلك من الأقاليم الإسلامية، غير اعتراضات محدودة جداً في العراق والحجاز.

ويحار الإنسان في تفسير هذا السكوت المطلق من قبل

المسلمين عن جرائم بني أمية يومئذٍ .
ولا تشير المدونات التاريخية التي أرخت هذه الفترة إلى
تفسير هذا السكوت والقعود عن الاعتراض تجاه سياسة بني
أمية.

كما لا نجد في المؤرخين المحدثين الذين يؤرخون هذه
الفترة المعتمدة من التاريخ الإسلامي من يحاول أن يفسر هذا
السكوت المطلق للمسلمين عن الاعتراض على بني أمية
والقعود عن مقاومتهم . رغم أنَّ التحليل والتفسير والنقد
العلمي يُعدّ جزءاً أساسياً من مسؤوليات المؤرخ اليوم، رغم
ذلك لم نقرأ في الأبحاث التاريخية المعاصرة تفسيراً لهذه
الظاهرة الملفتة للنظر في تلك الفترة من تاريخ المسلمين.

نحن نعتقد - في تحليل هذه الظاهرة - أن السياسة
الأموية في الإرهاب والإفساد حققت نجاحاً واضحاً منذ
ولاية معاوية، في ترويض العالم الإسلامي يومئذ على
السكوت عن الاعتراض على سياسات بني أمية، وإيثار العافية
على مواجهة عمال بني أمية.

ولقد كان بنو أمية يتوقعون الاعتراضات المسلحة
والسياسية من الحرمين الشريفين في الحجاز، حيث يعيش
أبناء الصحابة والتابعون، كما حدث ذلك في المدينة المنورة،

بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام وأنصاره (رضوان الله عليهم).
وَيُعْجَبُ الإنسان عندما يقرأ منهج بني أمية في تطويع
الحرمين الشريفين في مكة والمدينة للسياسة الأموية بالعنف
والإفساد. فلقد بلغ العنف والقمع والإرهاب والذبح في
الصحابة وأبنائهم والتابعين في المدينة على يد مسلم
(مسرف) بن عقبة حداً لم يكن يتصوره أحد.

وبلغ الأمر في القضاء على حركة عبد الله بن الزبير الذي
أراد أن ينتزع السلطة من آل أمية وينقلها إلى آل الزبير، أن
الجيش الذي كان يحاصر الحرم المكي الشريف أحرق
الكعبة الشريفة بالمنجنيق.

وبلغت سياسة الإفساد في الحرمين الشريفين أن آل أمية
أدخلوا الغناء والطرب إلى الحرمين الشريفين وأشاعوا اللهو
والفساد والطرب والغناء فيهما بشكل واسع، وطلبوا لهما
المغنين والمغنيات والمطربين والمطربات من شتى أقاليم
العالم الإسلامي بمبالغ باهظة من بيت المال، وكانت ليالي
البيض في (منى) حيث يجتمع الحجاج من أطراف العالم
الإسلامي، ليشهدوا منافع لهم. . ندوات ساهرة عامرة بالغناء
واللهو. . وتكفي قراءة بعض ما ذكره أبو الفرج الأصبهاني
في (الأغاني) وغيره من الذين أرخوا هذه الفترة، لنعرف

عمق المأساة التي حلّت بالمسلمين يومئذٍ على يد آل أمية في إشاعة اللهو والفساد في الحرمين الشريفين، ليأمنوا جانبهما في الاعتراض على سلطان بني أمية وولايتهم على المسلمين. يقول ابو الفرج الاصبهاني في الاغاني (ان الغناء في المدينة، لا ينكره عالمهم، ولا يدفعه عابدهم)^(١)

ونقرء في «الاغاني»: أن فقها كبار في المدينة كانوا يغنون ولهم اصوات يذكرها ابو الفرج في الأغاني لا نسميهم اكراما لهم، لكن بوسعك ان تقرء اخبارهم في (الاغاني لابي الفرج)^(٢)

وبلغ الامر أن اهل الحجاز عامة كانوا يجيزون الغناء واتخذ عروة بن الزبير قصرًا بالعقيق (وادي على مقربة من المدينة) فقال له الناس قد جفرت عن مسجد رسول الله ﷺ قال اني رأيت مساجدهم لاهية واسواقهم لاغية والفاحشة في فجاجهم عالية^(٤)

(١) الاغاني لابي الفرج الاصبهاني: ٢٢٤/٨ (دار الكتب).

(٢) الاغاني: ١٨٦/١ و ٤١٩/١ و ٤٢٠/١ (ترقيم المكتبة الشاملة).

(٣) عقد الفريد: ٣٩٠/٢ (ترقيم المكتبة الشاملة).

(٤) تاريخ دمشق: ٢٨٠/٤٠.

وقال ابو يوسف لبعض اهل المدينة ما اعجب أمركم يا
أهل المدينة في هذه الاغاني: ما منكم شريف ولا دنيء
يتحاشى عنها^(١)

وكان اذا سال العقيق لا يبقى في المدينة مخبأة (مخدره)
ولا شاب ولا شابة ولا كهل الا خرج الى العقيق لسمع
الغناء^(٢)

واصبحت المدينة المنورة مركزاً متميزاً لتعليم الجواري
الغناء^(٣)

ولم يحدث هذا التركيز على إشاعة الغناء والطرب في
الحرمين الشريفين الا بتخطيط وسعي من بني امية لإفساد
الناس في الحرمين الشريفين وإسقاطهم في نظر عامة
المسلمين.

وإذا كان الحرمان الشريفان بهذه المثابة فما بالك بسائر

(١) العقد الفريد: ٢٣٣/٣.

(٢) العقد الفريد: ٢٤٥/٣.

(٣) اعلام الهداية: ١٠٧/٦ عن الاغاني: ٢٢٦/٢، ٣٠٧/٣، ٢٢٢/٤، ٢١/٦،
٣١٦/٧ و ٣٣٢، ٢٢٧/٨، ١٠، ٥٧ وكتاب الشعر والغناء في مكة والمدينة:
٢٥٠.

أقطار العالم الإسلامي من مصر والعراق وإيران والشام.
هذه السياسة المزدوجة من (الإرهاب) و(الإفساد) آتت
ثمارها التي كان يسعى إليها آل أمية في تمكينهم من السلطان
في العالم الإسلامي الواسع يومئذ..

المعارضة الشيعية

وكانت المعارضة الوحيدة التي صمدت بوجه بني أمية
في هذه الفترة هي المعارضة الشيعية. فلم يتمكن بنو أمية أن
يروضوا هذه المعارضة لسياساتهم.

ورغم كل الوسائل التي استخدمها بنو أمية في تذليل هذه
العقبة وتطويع شيعة أهل البيت عليهم السلام من خلال الإرهاب
والإفساد لم يتمكنوا من القضاء على هذه المعارضة.

أما المعارضة الخارجية (الخوارج)، فلم تقاوم الإرهاب
الأموي طويلاً. فقد كانت حركة الخوارج حركة إنتحارية
إنفعالية، شعارية، غير عقلانية، ولا تملك خطة مدروسة
لمواجهة بطش بني أمية، وسلطانهم، وإفسادهم.

ولذلك لم يتمكن الخوارج أن يقاوموا بني أمية طويلاً،
وسرعان ما انتهت هذه الحركة، ويكاد أن يختفي دورهم في
التاريخ الإسلامي، بعد البطش الذي مارسه الحجاج ضدهم.

أما حركة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم فكانت حركة متميزة بالعقلانية والحزم والسرية والكتمان الشديد والتقيّد وتجنب الانفعال والطيش.

وقد كان الإمام زين العابدين عليه السلام يطلب من شيعته أن يتجنبوا حالة الطيش والنزق وقلة الكتمان، التي كان يعرفها عند بعض الناشئين من شيعته، فيقول عليه السلام:

(وددت والله أني افتديت خصلتين في الشيعة ببعض لحم ساعدي: النزق، وقلة الكتمان) ^(١).

لقد كان أهل البيت عليهم السلام يؤكّدون لشيعتهم دائماً ضرورة ضبط النفس، والكتمان والتقية، والتعقل، والتروي، والتخطيط المرحلي لمواجهة طيش بني أمية. . في الوقت الذي كانوا يحرصون على إعلان المقاطعة لهم، ورفض التعاون مع الظلمة، والبراءة منهم وتحريم دعمهم والتعاون معهم بأي شكل من الأشكال.

هذه السياسة الحازمة العقلانية في معارضة الحكم الأموي حفظت شيعة أهل البيت على خط المعارضة. وإن لم نقل

(١) أصول الكافي ٢ : ٢٢١ .

أنّها كانت هي المعارضة الوحيدة في الساحة السياسية يومذاك، فقد كانت هي المعارضة الأقوى والأشد على النظام الأموي.. منذ أيام الإمام الحسن عليه السلام في عهد معاوية إلى نهاية العهد الأموي .

ولهذا السبب فقد أمعن بنو أمية في محاربة شيعة أهل البيت عليهم السلام، وملاحقتهم، واستئصالهم، والتضييق عليهم، وسجنهم، وقتلهم، وقطع أرزاقهم.

وكانت هذه الفترة من حكم بني أمية من أشق فترات التاريخ على أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم.

يقول ابن أبي الحديد، وهو ممن أرخ هذه الفترة:

(ثم تفاقم الأمر بعد قتل الحسين عليه السلام، وولي عبد الملك بن مروان، فاشتدّ على الشيعة، وولّى عليهم الحجاج بن يوسف، فتقرّب إليه حتى المتظاهرين بالنسك والصلاح والدين ببغض عليّ وموالاة أعدائه وموالاة من يدعي من الناس أنهم أيضاً أعداؤه، فأكثروا من الرواية في فضيلتهم (أي بني أمية) وسوابقهم ومناقبهم، وأكثروا من البغض من

علي عليه السلام وعييه والطعن فيه، والشنآن له ^(١).

لقد بالغ بنو أمية في ملاحقة شيعة أهل البيت عليهم السلام وتصفيتهم ونشر الرعب فيهم، وبشكل خاص في العراق، فقد كان العراق معروفاً بكثرة الشيعة.

وقد عاش الإمام الباقر عليه السلام هذه الفترة الصعبة من اضطهاد شيعته، والتضييق عليهم واستئصالهم. . يقول عليه السلام - كما يروي ذلك عنه ابن أبي الحديد، في شرح النهج :

(ثم لم نزل أهل البيت، نستذل ونستضام، وننقص ونمتنهن، ونحرم، ونقتل، ولا نأمن على دماننا ودماء موالينا، ووجد الكاذبون الجاحدون، لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقربون به إلى أوليائهم، وقضاة السوء، وعمال السوء، في كل بلدة، فحدّثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة، ورووا عنا ما لم نقله، وما لم نفعله ليغضونا إلى الناس. وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام. فقتلت شيعتنا بكل بلدة، وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة، وكان من يذكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره.

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٤٦/١١، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد إلى زمان عبید الله بن زیاد قاتل الحسين عليه السلام، ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتلة، وأخذهم بكل ظنة وتهمة، حتى أن الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحب إليه من أن يقال له شيعة علي^(١).

يقول ابن الأعمش (المتوفى سنة ٣١٤هـ) في كتاب الفتوح، فيما ارتكبه زياد بن أبيه أيام معاوية من قتل الشيعة وملاحقتهم واستئصالهم:

(وجعل زياد يتتبع شيعة علي بن أبي طالب، فيقتلهم تحت كل حجر ومدر، حتى قتل منهم خلقاً كثيراً، وجعل يقطع أيديهم وأرجلهم، ويسمل أعينهم، وجعل أيضاً يغري بهم معاوية، فقتل منهم معاوية جماعة، وفيمن قتل حجر بن عدي الكندي وأصحابه، وبلغ ذلك الحسن بن علي عليه السلام فقال: اللهم خذلنا ولشيعتنا من زياد بن أبيه، وأرنا فيه نكالاً عاجلاً^(٢)).

ويقول المدائني في هذه الفترة وعن ولاية زياد بن أبيه عامل معاوية على الكوفة:

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١ / ٤٤. وروى المجلسي هذا النص عن ابن أبي الحديد في البحار / ٦٨ - ٦٩.
(٢) الفتوح لابن الأعمش ٤ / ٢٠٣، ط حيدر آباد.

(وكان أشد الناس بلاءً حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام، فاستعمل معاوية عليهم زياد بن سمية، وضم إليه البصرة، فكان يتبع الشيعة، وهو بهم عارف، لأنه كان منهم أيام علي عليه السلام، فقتلهم تحت كل حجر). ويروي الطبري القصة التالية عن اسلوب زياد في استئصال الشيعة في الكوفة.

وخلاصة هذه القصة: (إن زياداً لما مات المغيرة وأنيطت به ولاية الكوفة جاء إلى الكوفة، وصعد المنبر، وخطب في الناس، فحُصِبَ وهو على المنبر. . يقول الطبري، فجلس حتى أمسكوا، ثم دعا قوماً من خاصته، وأمرهم فأخذ أبواب المسجد، ثم قال ليأخذ كل رجل منكم جليسه، ولا يقولن لا أدري من جليسي.

ثم أمر بكرسي فوضع له باب المسجد فدعاهم أربعة اربعة يحلفون بالله ما منا من حصبك، فمن حلف خلاه، ومن لم يحلف حبسه وعزله، حتى صار إلى ثلاثين، ويقال بل كانوا ثمانين، فقطع أيديهم على المكان^(١).

(١) تاريخ الطبري، حوادث سنة ٥٠، ج ٧، ١١/ ٨٨ ط ليدن.

المحور السياسي والثقافي في سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام

بعد أن استعرضنا على نحو الاجمال الحالة الاجتماعية والسياسية للفترة الزمنية التي عاشها زين العابدين عليه السلام.. نتحدث عن الدور الذي نهض به الإمام السجاد عليه السلام في مواجهة هذا الواقع السياسي والاجتماعي.

وتتنظم سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام بعد عودته إلى المدينة من رحلة الشهادة والتضحية في كربلاء... بمجموعة محاور، أهمها بقدر ما يتعلق بموضوع بحثنا:

١- المحور السياسي في طريقة تعامله عليه السلام مع حكومة بني أمية وعمالهم وأعوانهم.

٢- المحور التربوي في بناء الجماعة الصالحة.

وهذان المحوران هما أهم النقاط التي نريد أن نتحدث عنها في هذه الرسالة إن شاء الله.

-١-

المحور السياسي

في منهج تعامل الإمام علي بن الحسين عليهما السلام

مع حكام بني أمية

حول هذا المحور نتحدث عن نقطتين مهمتين في موقف الإمام زين العابدين عليه السلام من حكومة بني أمية وعمالهم وأعوانهم في البلاد.

أ - موقف الإمام من الخروج والثورة المسلحة ضد حكام بني أمية وعمالهم في البلاد.

ب - إعلان المقاطعة السياسية والمعارضة لحكام بني أمية، ونفي شرعية حكومة بني أمية، والنهي عن التعاون معهم، وسوف نتحدث عن هاتين النقطتين بإيجاز إن شاء الله.

أ - موقف الإمام علي عليه السلام من الثورة المسلحة

لقد علم بنو أمية أن شيعة علي عليه السلام هم المعارضة السياسية الصلبة ضد حكمهم . وبإمكان هذه المعارضة أن تستقطب ثقة الناس ودعمهم ومشاركتهم ما لا تستطيعه أية جماعة معارضة أخرى.

وكان الخوارج يومذاك يحسبون في عداد المعارضات السياسية القوية لحكام بني أمية، إلا أن المعارضة الخارجية كانت حركة انتحارية، انفعالية، في التعامل مع الساحة السياسية والاحداث كما قلنا . وهذه الحالة الانفعالية وغير العقلانية في تكفير المسلمين وقتلهم بصورة عشوائية، أدت إلى تصفيتها من قبل حكام بني أمية، وعمالهم كالحجاج بن يوسف الثقفي، وغابت هذه الحركة عن الساحة السياسية في أواسط العصر الأموي تقريباً، ولم تعد هذه الحركة تقلق حكام بني أمية.

ولم يكن أمر المعارضة الشيعية كذلك، فقد كانت هذه المعارضة تمتلك جماعة عريضة، وخطة سياسية، وقابلية على ترحيل العمل السياسي، والثورات المسلحة، وقدرة كبيرة على الاختفاء والكتمان والعمل في السرّ.

لقد اهتزت دولة بني أمية من أقصاها إلى أقصاها بسبب خروج الحسين عليه السلام ومصرعه، ولم يعد لهذه الدولة الموقع الشرعي الذي كان يدعيه بعنوان خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله، بعد مصرع الحسين عليه السلام وأنصاره، في نظر عامة المسلمين، وكانوا يتعاملون معها، كما يتعاملون مع أي حكومة زمنية ظالمة ذات قوة وبطش.. ورغم كل الإعلام الأموي الواسع فقد دفع آل أمية ضريبة باهظة بسبب مصرع الإمام الحسين عليه السلام وأنصاره على أيديهم، ولم يعد بإمكانهم جبر الكسر الذي حدث في سلطانهم في حادث الطف..

ومع كل هذا الارهاب والتصفيات الواسعة التي مارسها بنو أمية تجاه شيعة أهل البيت عليهم السلام... بقي شيعة أهل البيت معارضة سياسية قوية ومسلحة أحياناً في وجه بني أمية يهددون سلطانهم وملكهم في كل حين... رغم كل القتل والسجن والمطاردة التي مارسها بنو أمية بحق آل علي وشيعتهم.

ولذلك كان بنو أمية يخططون للقيام بتصفية واسعة لشيعة أهل البيت عليهم السلام في العراق والحجاز، والتضييق عليهم في أرزاقهم ومطاردتهم وحبسهم وقتلهم، ومن يقرأ ما حدث لشيعة الإمام علي عليه السلام في العراق في عهد معاوية، وبعد

ذلك، وفي عهد عبد الملك وهشام، وفي ولاية الحجاج في العراق، لا يتردد في هذه الحقيقة، وقد قرأنا من قبل كلمة الإمام الباقر عليه السلام في سياسة بني أمية في استئصال شيعة أهل البيت عليهم السلام، وملاحقتهم، ومطاردتهم، والتضييق عليهم.

لقد عاش الإمام زين العابدين عليه السلام هذه الفترة الصعبة بعد مصرع أبيه عليه السلام وأنصاره (رضوان الله عليهم) بكربلاء.

فكان الإمام علي بن الحسين عليه السلام يعمل ما في وسعه لئلا يعطي ذريعة لبني أمية وعمالهم ليمارسوا هذه التصفية السياسية الواسعة التي كان يخطط لها بنو أمية لشيعة.

و كان الإمام عليه السلام هو رأس هذا الاستهداف. . وكان بنو أمية يعلمون جيدا أن الإمام علي بن الحسين عليه السلام وارث عاشوراء، حضر كربلاء يوم عاشوراء، وحفظه الله تعالى من بطش الظالمين يوم عاشوراء، ليحمل ميراث الحسين عليه السلام سيد الشهداء، وأنصاره الشهداء من بعدهم للمسلمين، فكان زين العابدين عليه السلام يحمل خطاب الشهداء في كربلاء وخطاب سيد الشهداء إلى المسلمين، وكان يشعر بثقل هذه المسؤولية، وكان يسعى لأداء هذا الخطاب أوسع أداء إلى الأجيال، وكان بنو أمية يعرفون ذلك كله. . وقد لمسوا تأثير هذا الخطاب في مسيرة أهل البيت عليهم السلام، على هيئة أسرى من

كربلاء إلى الكوفة، ومن الكوفة إلى الشام.

الإمام زين العابدين يقيم أول مجلس عزاء للحسين عليه السلام عند مدخل المدينة:

روى بشير بن جذلم وقال: لما قربنا من المدينة حط علي
ابن الحسين رحله وضرب فسطاطه وأنزل نساءه وقال: يا بشير
رحم الله أباك لقد كان شاعرا فهل تقدر على شيء منه فقلت:
بلى يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله اني شاعر فقال عليه السلام: ادخل المدينة
وانع أبا عبد الله. قال بشير: فركبت فرسي وركضت حتى
دخلت المدينة، فلما بلغت مسجد النبي صلى الله عليه وآله رفعت صوتي
بالبكاء وأنشأت أقول:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها

قتل الحسين فأدمعي مدرار

الجسم منه بكربلاء مخرج

والرأس منه على القناة يدار

قال: ثم قلت: هذا علي بن الحسين عليه السلام مع عماته وأخواته
قد حلّوا بساحتكم ونزلوا بفنائكم، وأنا رسوله إليكم أعرفكم
مكانه.

قال: فلم يبق في المدينة مخدرة ولا محجبة الا برزن من

خدورهن، وهن بين باكية ونائحة ولا طمة، فلم ير يوم أمر على أهل المدينة منه، وسأله: من أنت؟ قال: فقلت: أنا بشير بن جذلم وجهني علي بن الحسين، وهو نازل في موضع كذا وكذا مع عيال أبي عبد الله ونسائه.

قال: فتركوني مكاني وبادروني فضربت فرسي حتى رجعت إليهم، فوجدت الناس قد أخذوا الطرق والمواضع فنزلت عن فرسي، وتخطيت رقاب الناس حتى قربت من باب الفسطاط، وكان علي بن الحسين داخلا فخرج وبيده خرقة يمسح بها دموعه وخادم معه كرسي فوضعه وجلس وهو مغلوب على لوعته، فعزاه الناس، فأوما إليهم أن اسكتوا فسكنت فورتهم فقال:

الحمد لله رب العالمين مالك يوم الدين بارء الخلائق أجمعين، الذي بعد فارتفع في السماوات العلى، وقرب فشهد النجوى، نحمده على عظام الامور وفجائع الدهور وجليل الرزء وعظيم المصائب.

أيها القوم إنّ الله وله الحمد ابتلانا بمصيبة جليلة وثلمة في الاسلام عظيمة، قتل أبو عبد الله وعترته، وسبي نسائه وصبيته، وداروا برأسه في البلدان من فوق عالي السنان، أيها الناس فأي رجالات يسرون بعد قتله؟ أية عين تحبس دمعها

وتضمن عن انهمالها، فلقد بكت السبع الشداد لقتله، وبكت
البحار والسموات والأرض والأشجار والحيتان والملائكة
المقربون وأهل السماوات أجمعون.

أيها الناس أي قلب لا ينصدع لقتله؟ أم أي فؤاد لا يحن
إليه؟ أم أي سمع يسمع هذه الثلثة التي ثلم في الاسلام؟
أيها الناس أصبحنا مطرودين، مشردين، مذودين،
شاسعين، كأننا أولاد ترك أو كابل من غير جرم إجترمانه، ولا
مكروه ارتكبناه. ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين. إن هذا الا
إختلاق والله لو أن النبي تقدم إليهم في قتالنا كما تقدم إليهم
في الوصاة بنا، لما زادوا على ما فعلوه، فانا لله وانا إليه
راجعون^(١).

إضطهاد وارث كربلاء

لقد كان علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام وارث
عاشوراء حقاً، وكان يحمل تراث عاشوراء، وينشره أينما

(١) معالم المدرستين للسيد مرتضى العسكري: ١٦٩/٣-١٧٠ عن مثير
الأحزان ص ٩٠-٩١، اللهوف ٧٦-٧٧. تاريخ الطبري. ط/اروبا،
٣٧٩/٢.

يحل... فقد كان شاهد عاشوراء ووارثه وحامل خطابه.
ولذلك كان يخافه بنو أمية على ملكهم وسلطانهم
ويرصدونه، ويتحينون الفرص به للقضاء عليه وأهل بيته
وشيعته لتخلو الساحة لبني أمية من المعارضة الشيعية العلوية.
وكان علي بن الحسين عليه السلام يعي كل ذلك، ويحرص ألا
يعطي لبني أمية هذه الفرصة في السنوات الثلاثة الأولى، على
الأقل، من عودته الى المدينة.

فآثر عليه السلام في أول وهلة من عودته من الشام إلى المدينة
ان يغيب عنها، ويسكن البادية، ويتعد عن الناس ليأمن بنو
أمية جانبه، وليسخ في نفوسهم أن الإمام قد اعتزل (الحضر)
و(السياسة) و(المعارضة) ولم يعد الإمام تهديداً فعلياً
لحكومة بني أمية.

يروى ابن أبي قرة في (المزار) عن الإمام الباقر عليه السلام، قال:
كان أبي علي بن الحسين عليه السلام قد اتخذ منزله بعد مقتل أبيه
الحسين عليه السلام بيتاً من شعر، خارج المدينة، كراهية لمخالطة
الناس.

وكان يسير في مقامه من البادية إلى العراق، زائراً لأبيه

وجده عليه السلام، ولا يشعر بذلك من فعله ^(١).

لقد أبعدت هذه السياسة أنظار بني أمية فعلاً عن الإمام زين العابدين، وأمنوا جانبه، وحفظ الإمام عليه السلام بذلك نفسه وأهله وشيعته من بطش بني أمية برهة من الزمان.

ولقد كانت تلك البرهة، بعد مصرع الحسين عليه السلام فترة صعبة من أصعب ما مر على أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، وأي موقف انفعالي في هذه الفترة كان كافياً لاستئصال أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم على يد جلاوزة بني أمية.

ولم يكن لأهل البيت عليهم السلام انصار في تلك الفترة الصعبة في الحرمين الشريفين، يقفون معهم وينصرونهم... وعن هذه الغربة والانفراد في الحجاز، يقول زين العابدين عليه السلام، كما في رواية ابن أبي الحديد (ما بمكة والمدينة عشرون رجلاً ^(٢) يحبنا)

(١) راجع فرحة الغري لابن طاووس: ٤٣. الإمام زين العابدين للسيد عبد الرزاق المقوم: ٤٢. جهاد الإمام السجاد زين العابدين عليه السلام للسيد محمد رضا الجلالى: ٦٧

(٢) شرح ابن أبي الحديد على نهج البلاغة: ١٤٠/٤.

موقف الإمام عليه السلام من ثورة أهل المدينة (الحرّة):

ونقطة أخرى تلفت النظر في سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام في هذه الفترة، أن الإمام عليه السلام لم يشترك في ثورة أهل المدينة المسلحة على بني أمية، لأن الإمام كان يعلم مآل هذه الثورة من انتهاك حرمة حرم رسول الله صلى الله عليه وآله، والمذابح الواسعة التي جرت على يد مسرف بن عقبة (لعنه الله) للصحابه وأبناء الصحابة والتابعين، وانتهاك حرمت النساء في مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولأن هذه الثورة كان ينقصها التخطيط. ولم يكن قادة الثورة قد خططوا لهذه الثورة وأعدوا لها عدتها بصورة عقلانية.

ولسبب آخر يعادل كل الأسباب المتقدمة، وهو أن الإمام كان لا يريد أن يعطي لبني أمية ذريعة لقتله وتصفيه من تبقى من شيعته وأهله بعد كربلاء... ولا يمنحهم الفرصة التي كانوا يطلبونها للانقضاض على المعارضة الشيعية وإمامهم علي بن الحسين عليه السلام.

ملاحظات على ثورة المدينة:

نحن عندما نقرأ في التاريخ ثورة أهل المدينة على يزيد بن معاوية تستوقفنا ملاحظات جديرة بالتوقف. لا يسعنا

دراستها في هذا الموضع من البحث وانما نشير اليها ونتجاوزها.

لم يكن يخفى على الثائرين في المدينة ان يزيد بن معاوية لا يقف موقف المتفرج عن إعلان أهل المدينة للانفصال عن حكومة الشام، بعد أن طردوا عامله على المدينة، وانه سوف يبعث اليهم بجيش من الشام، لا يطيقون مقاومته.

وكان من المعقول جداً أن يفكر الثائرون في المدينة بالاتصال بالأقطار الإسلامية الأخرى ليزودوهم بالرجال والمقاتلين والمال كما فعل الحسين عليه السلام في خروجه على يزيد، ولكنهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك. وكان واضحاً لمن يتابع سير الاحداث يومئذ في المدينة... أن الثائرين سوف يعرضون مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وحرمة وقبره وأهل المدينة ومن بقى من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وابناء الصحابة التابعين لفتك ذريع واسع من قبل جيش الشام الذي يقوده (مسرف) بن عقبة، وكان الأمر كذلك.

ونحن نحتمل ان عبد الله بن الزبير كان وراء هذه الواقعة فقد بعث اخاه منذر بن الزبير الى المدينة ليحرض اهل

المدينة على خلع يزيد وطرده عامله ^(١) .

يقول المسعودي في مروج الذهب إن حركة أهل المدينة واخراجهم بني أمية وعامل يزيد من المدينة كان عن أذن ^(٢) ابن الزبير .

ويقول ابن الاثم في الفتوح... أن أهل المدينة لما بلغهم مبايعة الناس لابن الزبير في مكة والطائف وسائر مدن الحجاز أخرجوا عامل يزيد من المدينة وبايعوا عبد الله بن الزبير، وبلغ ذلك ابن الزبير فارسل الى عبد الله بن حنظلة ^(٣) الغسيل فولاه المدينة .

ومهما يكن من امر فلم يصب عبد الله بن الزبير في اشغال نار الحرب في مكة وتعريض الحرم المكي الشريف لانتهاكات جيش الشام، كما حدث، ولم يصب الثائرون في المدينة في تعريض مدينة رسول الله ﷺ للانتهاك الواسع الذي قام به جيش الشام بقيادة مسرف بن عقبة في الحرم

(١) راجع الكامل لابن الاثير: ٤٥٠/٣.

(٢) مروج الذهب: ٧٨/٣.

(٣) الفتوح لابن الاثم: ١٥٦/٥-١٥٧.

النبوي الشريف في المدينة.

كما لم يصيبوا في اعلان الخروج على يزيد من غير
الاعداد الكامل لهذه المعركة غير المتكافئة بين الشائرين من
أهل المدينة وجيش الشام، وبين ابن الزبير واصحابه في مكة
وجيش الشام.

ولا نعلم كيف خفى هذه المدة الطويلة فجور يزيد
وفسقه واعلانه على أهل المدينة، حتى رجع وفدهم من الشام
من عند يزيد، فقالوا قدمنا من عند رجل ليس له دين يشرب
الخمير ويضرب بالطناير، ويعزف عنده القيان، ويلعب
بالكلاب، ويسمر عنده الخراب^(١)، فخلعوه من الخلافة .

وكان عبد الله بن حنظلة الغسيل يقول جئتكم من عند
رجل لو لم اجد إلا بني هؤلاء لجاهدته بهم^(٢) .

ويقول: ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة
من السماء، انه رجل ينكح امهات الاولاد والبنات

(١) الكامل لابن الأثير: ١٠٣/٤.

(٢) الكامل في التاريخ: ١٠٣/٤.

والاخوات، ويشرب الخمر ويدع الصلاة^(١) .

وكان الإمام الحسين عليه السلام قد كشف للمسلمين يزيد بن معاوية وفساده وفجوره منذ حياة ابيه معاوية عندما كان يسعى معاوية ليأخذ البيعة من المسلمين ليزيد في حياته^(٢) .

روى ابن قتيبة الدينوري وغيره: لما قدم معاوية المدينة حاجاً، وأخذ البيعة ليزيد، وخطب ومدح يزيد، ووصفه بالعلم بالسنة وقراءة القرآن والحلم الذي يرجح بالصم الصلاب. قام الحسين فحمد الله وصلى على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: أما بعد: فلن يؤدي القائل - وإن أظن - في صفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من الجميع جزءاً، هيهات هيهات يا معاوية! فضح الصبح فحمة الدجى، وبهرت الشمس أنوار السرج، ولقد فضلت حتى أفرطت، واستأثرت حتى أجحفت، ومنعت حتى بخلت، وجرت حتى جاوزت، ما بذلت لذي حق من أتم حقه بنصيب، حتى أخذ الشيطان

(١) تاريخ الخلفاء ص ٢٠٩.

(٢) راجع الاحتجاج للطبرسي في رسالة الإمام الحسين عليه السلام الى معاوية في التسقيط بيزيد.

حظه الأوفر، ونصيبه الأكمل. فهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسته لأمة محمد ﷺ. تريد أن توهم الناس في يزيد، كأنك تصف محجوباً أو تنعت غائباً، أو تخبر عما كان مما احتويته بعلم خاص، وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقرائه الكلاب المتهاشمة عند التحارش، والحمام السبق لأترابهن، والقينات ذوات المعازف، وضروب الملاهي، تجده باصراً، ودع عنك ما تحاول، فما أغناك أن تلقى الله بوزر هذا الخلق أكثر مما أنت لاقيه، فوالله ما برحت تقدم باطلاً في جور، وحنفاً في ظلم، حتى ملأت الأسقية، وما بينك وبين الموت إلا غمضة، فتقدم

(١).

على عمل محفوظ في يوم مشهود، ولات حين مناص وقد كان حرياً بأهل الحرمين الشريفين أن يقفوا مع ابن رسول الله ﷺ حين أعلن الخروج على يزيد، ولكنهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك حتى استشهد الحسين عليه السلام بكر بلاء بتلك الصورة المفجعة... ولا نجد في خطاب الثائرين يومئذ في

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ١٥٣/١ (١٦٠) (٢٠٨). جمهرة الخطب: ٢٤٢/٢. الغدير: ١٠/١٦١-١٦٣ تاريخ يعقوبي: ٢٢٨/٢ وأعيان الشيعة: ٥٨٣/١ والنصائح الكافية: ٦٩.

المدينة ذكراً للحسين عليه السلام، ومصرعه ومصرع أهل بيته وانصاره الذين سبقوهم للخروج على يزيد. وهذه وغيرها نقاط غامضة في ثورة أهل المدينة تحتاج الى إجابة وبيان.

ومهما يكن من أمر، فقد كان من رأى الإمام زين العابدين عليه السلام ان لا يدخل في هذه المواجهة المسلحة لجيش الشام، وأن ينأى بنفسه وأهل بيته عن هذه القضية، فهو يعلم أنّ بني امية كانوا يبحثون عن ذريعة يتمسكون بها للقضاء على بقية السيف من آل محمد عليه السلام وشيعتهم، ليتاح لهم القضاء الكامل على المعارضة العلوية بعد وقعة الطف.

وكان علي بن الحسين عليه السلام يحرص ألا يعطي هو وأهل بيته وشيعته هذه الفرصة ليزيد، حتى تأتي الفرصة المناسبة للحركة الثقافية والسياسية الواسعة لأهل البيت بين المسلمين. يقول الشيخ المفيد رحمته الله قدم مسرف بن عقبة المدينة، وكان يقال: «انه لا يريد غير علي بن الحسين» ^(١).

(١) مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني: ٣٦٩/٤ جامع احاديث الشيعة: ٢٠٦/١٥ والارشاد لمفيد: ٢٩٢.

ويقول المسعودي: ونظر الناس الى علي بن الحسين السجاد، وقد لاذ بالقبر وهو يدعو، فأتي به الى مسرف، وهو مغتاظ عليه، ف تبرأ منه ومن آباءه، فلما رآه وقد أشرف عليه إرتعد، وقام له، وأقعه الى جانبه، وقال له: سلني حوائجك، فلم يسأله في أحد ممن قدم الى السيف إلا شفّع فيه، ثم انصرف عنه. فقيل لعلي: رأيناك تحرك شفّيتك، فما الذي قلت؟ قال: قلت: اللهم رب السماوات السبع وما أظللن، والأرضين وما أقللن، رب العرش العظيم، رب محمد وآله الطاهرين، أعوذ بك من شره، وأدرك بك في نحره، أسألك أن تؤتيني خيره، وتكفيني شره. وقيل لمسلم: رأيناك تسب هذا الغلام وسلفه، فلما أتى به إليك رفعت منزلته؟! فقال: ما كان ذلك لرأي مني، لقد ملئ قلبي منه رعباً^(١).

الإمام السجاد عليه السلام في ظروف الاضطهاد الأموي:

واستمر بنو أمية وعمالهم يثون عيونهم حول علي بن الحسين عليه السلام ليجدوا فرصة مناسبة وذريعة للقضاء عليه بعد

(١) مروج الذهب للمسعودي: ٧٠/٣..

واقعة الطف حتى سنتين او ثلاث بعد هلاك يزيد، ولكن الإمام عليه السلام كان يعي حساسية الظروف السياسية يومئذ بعد مصرع الإمام الحسين عليه السلام ويفوت عليهم الفرصة التي كانوا يتمنونها حتى تغيرت الظروف السياسية ووجد الإمام عليه السلام أن الظروف مواتية للعمل والحركة السياسية والثقافية فتغيرت سياسة الإمام عليه السلام عندئذ.

يقول اسماعيل بن علي ابو سهل النونجي عن فترة الاضطهاد السياسي هذه: وقتل الحسين عليه السلام وخلف علي بن الحسين ثم انقبض عنه الناس فلم يلق احداً، ولا كان يلقاه الا خواص اصحابه. وكان في نهاية العباداة. ولم يخرج عنه من العلم الا يسير لصعوبة الزمان وجور بني أمية ^(١).

اجل كان الإمام عليه السلام يعتزل الناس وينأى بنفسه عن عيون بني أمية ولذلك لم يكن يتصل به أحد خلال هذه الفترة، الا القليل من خواصه، ولهذا السبب لم يخرج عنه من العلم الا اليسير، حتى اذا تجاوز ظروف الفتنة أخذ منه الناس علماً

(١) جهاد الإمام السجاد عليه السلام للجلالي ص ٦٤ عن أكمال الدين للصدوق ص ٩١.

كثيراً جمّاً، وكان له مجلس في مسجد رسول الله ﷺ يعظ
الناس معه فيه .^(١)

ورغم كل هذه الحيلة والحذر من جانب الإمام زين
العابدين عليه السلام كان بنو أمية وعمالهم يسعون ويعملون للقضاء
على زين العابدين عليه السلام بأية ذريعة ممكنة. وقد قرأنا قريبا
كيف هم مسرف بن عقبة ان يقتل الإمام عليه السلام لولا أن الله
حفظه من بطش هذا المسرف.

روى الراوندي في كتاب (الخرائج والجرائع): أن
الحجاج بن يوسف كتب إلى عبد الملك بن مروان: إن
أردت أن يثبت ملكك فاقتل علي بن الحسين عليه السلام.^(٢)

وأمر عبد الملك عامله على المدينة بإحضار الإمام عليه السلام
إليه في الشام، فأثقل الإمام بالحديد، ووكّل به حُفَظاً
يحفظونه ليدخلوه على عبد الملك في الشام.

لقد كان الإمام يعلم بهذا الاستهداف، ويعرف نية بني
أمية تجاهه وتجاه شيعته علم اليقين، ويسعى بكل جهده

(١) الكافي للكليني: ٧٢/٨ وتحف العقول ٢٤٩ وجهاد الإمام السجاد
الإمام السجاد للجلالي ص ١٦٠.

(٢) بحار الأنوار ٤٦، ص ٢٨/ ح ١٩ . والخرائج والجرائع: ٢٥٧.

لتفويت هذه الفرصة على بني أمية.

أجل لم يشترك الإمام عليه السلام في ثورة أهل المدينة، ولكنه بذل ما في وسعه لحماية من تمكن من حمايتهم من النساء والأطفال والرواة أيام ثورة أهل المدينة على يزيد. . وقد ذكر المؤرخون: أن الإمام عليه السلام آوى زهاء أربعمئة من النساء والأطفال والرجال وحماهم من فتك بني أمية.

وفي هذه الظروف ارسل المختار الثقفي رحمته الله إليه عليه السلام برؤوس قتلة الحسين عليه السلام وأولاده وأصحابه، فسرَّ الإمام عليه السلام بذلك وخرَّ ساجداً لله ودعا له، وجزَّاه خيراً^(١).

واحتفل أهل البيت عليهم السلام بهذا الانتقام الإلهي العاجل من قتلة الحسين عليه السلام وأنصاره. .

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: (ما اختضبت هاشمية، ولا إدهنت، ولا دخل مرود في عين هاشمية حتى بعث المختار برأس عبيد الله بن زياد)^(٢).

ومع أن الإمام عليه السلام دعا للمختار وجزَّاه الخير لم يقبل منه

(١) تاريخ البعقوبي ٢/٢٥٩، دار صادر - بيروت.

(٢) بحار الأنوار ٤٥ / ٣٨٠.

ما أرسله إليه من الهدايا.
وكان يقول عليه السلام لمحمد بن الحنفية: (يا عم، لو أن عبداً
تعصب لنا أهل البيت لوجب على الناس مؤازرته، وقد وليتك
هذا الأمر، فاصنع)^(١).

(١) جهاد الإمام السجاد، ص ٢٨٥، نقلاً عن المختار الثقفي للشيخ
أحمد الدجيلي، ص ٥٩.

ب - سياسة المقاطعة والمعارضة لحكام بني أمية

سياسة المقاطعة والمعارضة لحكام بني أمية وعمالهم كانت من الثوابت السياسية لعلي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، ولا نعرف في حياته وسيرته أنه عدل عن هذه السياسة في وقت من الأوقات. . حتى في الأيام الأولى لعودته من الشام إلى المدينة، حيث كان يسعى للتغيب عن مجتمع المدينة لم يتخلّ عن هذه السياسة. ولم يكن من رأي الإمام عليه السلام أن المبررات التي تبرّر عدم التصدي للمقاومة المسلحة تبرر السكوت عن المعارضة والمقاطعة لحكومة بني أمية.

مع عبد الملك بن مروان

وكان يعلن هذه المعارضة إعلاناً للناس، ويريد أن يظهر للناس أنه لا يعترف لهذا النظام بشرعية واحترام. روى المجلسي عن الخرائج والجرائح عن الإمام الباقر عليه السلام انه قال: كان عبد الملك يطوف بالبيت، وعلي بن الحسين يطوف بين يديه ولا يلتفت إليه، ولم يكن عبد الملك يعرفه بوجهه. فقال: من هذا الذي يطوف بين أيدينا، ولا يلتفت إلينا؟ ف قيل: هذا علي بن الحسين عليه السلام فجلس

مكانه، وقال ردّوه إليّ. فقال له: يا علي بن الحسين، إني لست قاتل أبيك، فما يمنعك من المصير إليّ. فقال علي بن الحسين عليه السلام: إن قاتل أبي أفسد بما فعله دنياه عليه، وأفسد أبي عليه بذلك آخرته، فإن أحببت أن تكون هو، فكن! وكأنما استشعر الإمام من كلمة عبد الملك تهديداً له، فأجابه بهذا الجواب (فإن أحببت أن تكون هو فكن) ^(١).

وروى المجلسي في البحار عن البرقي في (المحاسن) قال: بلغ عبد الملك أن سيف رسول الله صلى الله عليه وآله عنده (زين العابدين عليه السلام)، فبعث يستوهبه منه ويسأله الحاجة. فأبى عليه. فكتب إليه عبد الملك يهدده وأنه يقطع رزقه من بيت المال، فأجابه عليه السلام: (أما بعد فإن الله ضمن للمتقين المخرج من حيث يكرهون، والرزق من حيث لا يحتسبون. وقال جل ذكره: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُجِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ الحج / ٣٨. فانظر أينأ أولى بهذه الآية ^(٢)).

يقول شهاب الزهري: شهدت علي بن الحسين يوم حمله

(١) بحار الأنوار ٤٦: ١٢٠ - ١٢١.

(٢) بحار الأنوار ٤٦: ٩٥. والمناقب لابن شهر آشوب ٣٠٢/٣.

عبد الملك بن مروان من المدينة الى الشام، فأثقله حديدا
ووكل به حفاظا في عدة وجمع، فاستأذنتهم في التسليم عليه
والتوديع له، فأذنوا لي فدخلت عليه، وهو في قبة والأقياد في
رجليه والغل في يديه، فبكيت وقلت وددت أني مكانك
وأنت سالم.

فقال يا زهري أتظن أن هذا مما ترى عليّ وفي عنقي
يكرهني. أما لو شئت ما كان، فانه وإن بلغ منك وبأمثالك،
ليذكرني عذاب الله، ثم أخرج يديه من الغل ورجليه من
القيد ثم قال يا زهري لا جزت معهم على ذا منزلتين من
المدينة.

قال فما لبثنا إلا أربع ليال حتى قدم الموكلون به يطلبونه
بالمدينة فما وجدوه فكنت فيمن سألهم عنه فقال لي بعضهم
إننا لئراه متبوعا انه لنازل ونحن حوله لا ننام نرصده إذ أصبحنا
فما وجدنا بين محمله إلا حديدة.

قال الزهري فقدمت بعد ذلك على عبد الملك بن مروان
فسألني عن علي بن الحسين فأخبرته.
فقال لي إنه قد جاءني في يوم فقداه الأعوان فدخل علي
فقال ما أنا وأنت.
فقلت أقم عندي.

فقال لا أحب.

ثم خرج فوالله لقد امتلاً ثوبي منه خيفة.
قال الزهري فقلت يا أمير المؤمنين ليس علي بن الحسين
حيث تظن. إنه مشغول بنفسه. فقال حبذا شغل مثله، فنعم ما
شغل به ^(١).

قال وكان الزهري اذا ذكر علي بن الحسين يبكي ويقول
زين العابدين ^(٢).

ثم يقول ابن حجر: ومن ثم كتب عبد الملك للحجاج أن
يجتنب دماء بني عبد المطلب وأمره بكنم ذلك، فكوشف به
زين العابدين، فكتب إليه إنك كتبت للحجاج، يوم كذا، سراً
به إليه، فلما وقف عليه وجد تاريخه موافقاً لتاريخ كتابه

(١) حلية الأولياء لابي نعيم الاصبهاني: ٥٨٣/٢ ط دار الكتاب العربي
بيروت ١٤٥.

وتاريخ دمشق لابن عساكر: ٣٧٢/٤١ بحواشي المحقق على شيري،
وابن منظور في مختصر تاريخ دمشق: ٢٣٤/١٧.
والصواعق المحرقة لابن حجر: ٥٨٣/٢ ط بيروت ١٩٩٧.
ومناقب ابن شهر آشوب: ١٣٢/٤ وكشف الغمّة: ٢٨٨/٢ ومدينة
المعاجز: ٣٠٨ والثاقب في المناقب لابن حمزة الطوسي: ٣٥٣-٣٥٤.
(٢) المصادر المتقدمة

للحجاج، ووجد مخرج الغلام موافقا لمخرج رسوله للحجاج
فعلم أن زين العابدين كوشف بأمره، فسر به وأرسل إليه مع
غلامه بوقر راحلته دراهم وكسوة، وسأله أن لا يخليه من
صالح دعائه^(١).

الدعاء على الظالمين:

وكان عليه السلام يصوغ نقمته على الظالمين، وأعلانه لرفضهم
على هيئة الدعاء.
ومنه هذا الدعاء الذي يرويه السيد علي بن طاووس في
الإقبال:

وهو من أدعية الصحيفة السجادية الخامسة.
(اللهم إن الظلمة جحدوا حقك، وكفروا بكتابك، وكذبوا
رسلك، واستنكفوا عن عبادتك، ورغبوا عن ملة خليلك،
وبدّلوا ما جاء به رسولك، وشرعوا غير دينك، واقتدوا بغير
هداك، واستنوا بغير سنّتك، وتعدّوا حدودك، وسعوا معاجزين
في آياتك، وتعاونوا على إطفاء نورك... إلى آخر الدعاء).

(١) الصواعق المحرقة لابن حجر: ٥٨٣/٢ ط ١٩٩٧ بيروت.

التحذير عن التعاون مع الظالمين

كان عليه السلام يحذر علماء عصره من التعاون مع الظالمين والدخول في أعمالهم وولايتهم، ويقول:

(العامل بالظلم، والمعين له، والراضي به، شركاء ثلاثة) ^(١).

هؤلاء الثلاثة شركاء للظالم في كل ما يتحمل الظالم من مسؤوليات الظلم... وقد ورد هذا المعنى في زيارة الحسين عليه السلام المعروفة بـ (وارث): (لعن الله أمة قتلتك، ولعن الله أمة ظلمتك، ولعن أمة سمعت بذلك فرضيت به).

لقد استحقت الأمة الأولى اللعن بقتل سيد الشهداء عليه السلام. ولم تمارس الأمة الثانية والثالثة (قتلا ولا ظلما) وإنما استحقت اللعن بالسكوت عن الظلم والرضا بالظلم.

خطب الإمام الحسين عليه السلام بمنزل البيضة في طريقة الى كربلاء. فقال: ايها الناس، إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من رأى سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرام الله ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان، ثم لم

(١) بلاغة علي بن الحسين عليه السلام للحائري، ص ٢٢٤.

(١) يتغير عليه ولا قول، كان حقيقاً على الله ان يدخله مدخله»

ومما روي عنه عليه السلام في صحبة الظالمين والفاستين:

(لا يقول رجل في رجل من الخير ما لا يعلم، إلا أوشك أن يقول فيه من الشر ما لا يعلم، ولا اصطحب اثنان على غير طاعة الله، إلا أوشك أن يتفرقا على غير طاعة الله) (٢).

وهي كلمة ذات شعبتين:

في الشطر الأول منها يشير الإمام إلى الذين يمدحون أرباب المال والسلطة من غير علم، وبما لا يعلمون تزلفاً إليهم، فيذكرهم الإمام عليه السلام بأن هذا التزلف سرعان ما يتحول إلى تباعد وتنافر، فيقولون فيهم يومئذٍ من الشر ما لا يعلمون، كما كانوا يقولون فيهم من قبل من الخير ما لا يعلمون.

وفي الشطر الثاني من الكلمة، ينذر الإمام الذين يصاحبون الظلمة والفاستين بانهم كما اجتمعوا على معصية الله، فسوف يفترقون على معصية الله.

(١) بحار الأنوار: ٣٨٢/٤٤ والعوالم مجلد الإمام الحسين: ٢٣٣ ط ١٤٠٧

مدرسة الإمام المهدي والفتوح لابن اعثم الكوفي: ٨١/٥

(٢) تهذيب الكمال للمزي: ٢٩٨/٢٠ وعيون الاخبار لابن قتيبة

الدينوري: ٣٨٨/١.

وكان عليه السلام يقول: «واياكم وصحبة العاصين، ومعونة الظالمين، ومجاورة الفاسقين، احذروا فتنتهم، وتباعدوا من ساحتهم. واعلموا أنه من خالف أولياء الله، ودان بغير دين الله، واستبد بأمره دون ولي الله... كان في نار تلتهب»^(١)

مع الزهري

كان محمد بن مسلم الزهري من أبرز علماء البلاط الأموي في وقته، خدم بني أمية طويلاً، وكان من أعوانهم، والذين يوطئون لهم الحكم.

قال ابن خلكان في ترجمته من وفيات الأعيان: (ولم يزل مع عبد الملك بن مروان وهشام بن عبد الملك واستقضاه يزيد بن عبد الملك)^(٢).

وقال ابن حجر: أمره هشام أن يملي على أولاده أحاديث، فأملى لهم أربعمئة حديثاً^(٣).

(١) روضة الكافي: ١٣٨ وتحف العقول: ٦٧.

(٢) الإمام زين العابدين للسيد عبد الرزاق المقرم: ١٥٥، نقلاً عن وفيات الأعيان لابن خلكان.

(٣) تهذيب التهذيب: ٤٤٥ / ٩.

وقال ابن الحديد: كان الزهري من المنحرفين عن علي عليه السلام.

روى جرير بن عبد الحميد عن محمد بن شيبه، قال: شهدت مسجد المدينة، فإذا الزهري، وعروة بن الزبير جالسان يذكران علياً عليه السلام، فقالا منه، فبلغ ذلك علي بن الحسين عليه السلام، فجاء حتى وقف عليهما، فقال: أما أنت يا عروة فإن أبي حاكم أباك إلى الله، فحكم لأبي على أبيك. وأنت يا زهري، فلو كنت بمكة لأريتك كير أبيك^(١).

وروى الذهبي في ترجمة خارجة بن مصعب، قال: قدمت على الزهري، وهو صاحب شرطة بني أمية، فرأيت يركب، وفي يده حرب، وبين يديه الناس. فقلت: قبح الله ذا من عالم، فلم أسمع منه^(٢).

يقول ابن خلكان: «ولم يزل مع عبد الملك وأولاده هشام وسليمان ويزيد. وقد استقضاه الأخير»^(٣).

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٠٢/٤.

(٢) ميزان الاعتدال للذهبي ٦٢٥ / ١.

(٣) وفيات الأعيان: ٣٧١/٣.

وقيل ليحيى بن معين: الأعمش خير ام الزهري؟ فقال
برئت منه ان كان مثل الزهري. إنه كان يعمل لبني أمية،
والأعمش مجاني للسلطان ورع ^(١).

رسالة الإمام عليه السلام إلى محمد بن مسلم الزهري ^(٢)

روى ابن شعبة الحراني في تحف العقول: أن الإمام علي

(١) معرفة علوم الحديث للهاكم: ٤٥.

(٢) الزهري هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري من
الفقهاء والحفاظ التابعين. عمل في بلاط بني أمية. وكان منحرفاً عن
أمير المؤمنين عليه السلام ويداري بني أمية في إخفاء فضائل أمير
المؤمنين عليه السلام.

قال ابن الأثير في (اسد الغابة) ٣٠٨/١:

روى أبو أحمد العسكري بإسناده عن عمار بن يزيد عن عبد الله بن
العلاء عن الزهري قال سمعت سعيد بن جناب يحدث عن أبي عنفوان
المازني قال سمعت أبا جنيذة جندع بن عمرو بن مازن قال سمعت
النبي ﷺ يقول: من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار،
وسمعت، والا صمماً يقول، وقد انصرف من حجة الوداع، فلما نزل غدير
خم قام في الناس خطيباً وأخذ بيد علي وقال من كنت وليه، فهذا وليه
اللهم وال من والاه وعاد من عاداه قال عبيد الله فقلت للزهري ألا
تحدث بهذا بالشام وأنت تسمع ملء أذنيك سب علي فقال والله إن
عندي من فضائل علي ما لو تحدثت بها لقتلت.

بن الحسين زين العابدين عليه السلام كتب إلى محمد بن مسلم الزهري:

(كفانا الله وإياك من الفتن، ورحمك من النار. فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك بها أن يرحمك، فقد أثقلتك نعم الله بما أصبح من بدنك، وأطال من عمرك، وقامت عليك حجج الله بما حملك من كتابه، وفقّهك من دينه، وعرفك من سنّة نبيه محمد عليه السلام، فرضي لك - في كل نعمة أنعم بها عليك، وفي كل حجة احتج بها عليك - الفرض بما قضى، فما قضى إلا ابتلى شكرك في ذلك، وأبدى فيه فضله عليك، فقال: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾. إبراهيم/ ٧.

فانظر: أي رجل تكون غداً إذا وقفت بين يدي الله! فيسألك عن نعمه عليك، كيف رعيته؟ وعن حججه عليك، كيف قضيتها؟

ولا تحسبن الله قابلاً منك بالتعذير، ولا راضياً منك بالتقصير! هيهات هيهات، ليس كذلك أخذ على العلماء في كتابه إذ قال: ﴿لَتَبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾. آل عمران/ ١٨٧. واعلم أن أدنى ما كتمت، وأخف ما احتملت أن آنست ووحشة الظالم، وسهّلت له طريق الغيّ بدنوك منه حين دنوت،

وإجابتك له حين دُعيت. فما أخوفني أن تبوء بإثمك غداً مع
الخونة، وأن تُسأل عما أخذت بإعانتك على ظلم الظلمة.
إنك أخذت ما ليس لك ممّن أعطاك، ودنوت ممّن لم
يردّ على أحد حقاً، ولم ترد باطلاً حين أدناك، وأحببت من
حادّ الله.

أوليس بدعائه إياك، حين دعاك، جعلوك قطباً أداروا بك
رحى مظالمهم، وجسراً يعبرون عليك إلى بلاياهم، وسلماً
إلى ضلالتهم. داعياً إلى غيهم، سالكاً سييلهم، يُدخلون بك
الشك على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهّال إليهم.
فلم يبلغ أخصّ وزرائهم، ولا أقوى أعوانهم إلاّ دون ما
بلغت من إصلاح فسادهم، واختلاف الخاصة والعامة إليهم.
فما أقلّ ما أعطوك في قدر ما أخذوا منك، وما أيسر ما عمّروا
لك في جنب ما خربوا عليك. فانظر لنفسك، فإنه لا ينظر لها
غيرك، وحاسبها حساب رجل مسؤول.

وانظر كيف شكرك لمن غذاك بنعمه صغيراً وكبيراً؟ فما
أخوفني أن تكون كما قال الله في كتابه: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ
خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ
سَيَغْفِرَ لَنَا﴾ الأعراف/١٦٩.

إنك لست في دار مقام، أنت في دار آذنت برحيل، فما

بقاء المرء بعد قرئائه؟

طوبى لمن كان في الدنيا على وجل، يا بؤس من يموت
وتبقى ذنوبه من بعده. إحذر فقد نُبئت، وبادر فقد أُجّلت.
إنك تعامل من لا يجهل، وإن الذي يحفظ عليك لا يغفل.
تجهّز فقد دنا منك سفر بعيد، وداو دينك فقد دخله سقم
شديد. ولا تحسب أنني أردت توبيخك وتعنيفك وتعيرك،
لكنني أردت أن ينعش الله ما فات من رأيك، ويرد إليك ما
عزب من دينك، وذكّرت قول الله تعالى في كتابه: ﴿وَذَكِّرْ
فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾. الذاريات / ٥٥.
أغفلت ذكر من مضى من أسنانك وأقرانك، وبقيت
بعدهم كقرن أعضب.

انظر: هل ابتلوا بمثل ما ابتليت به؟ أم هل وقعوا في مثل ما
وقعت فيه؟ أم هل تراهم ذكّرت خيراً أهملوه، وعلمت شيئاً
جهلوه؟ بل حظيت بما حلّ من حالك في صدور العامة،
وكلفهم بك، إذ صاروا يقتدون برأيك، ويعملون بأمرك، إن
أحللت أحلّوا، وإن حرّمت حرّموا، وليس ذلك عندك، ولكن
أظهرهم عليك رغبتهم فيما لديك ذهاب علمائهم، وغلبة
الجهل عليك وعليهم، وحب الرئاسة، وطلب الدنيا منك
ومنهم.

أما ترى ما أنت فيه من الجهل والغرة؟ وما الناس فيه من البلاء والفتنة؟ قد ابتليتهم، وفتنتهم بالشغل عن مكاسبهم مما رأوا، فتاقت نفوسهم إلى أن يبلغوا من العلم ما بلغت، أو يدركوا به مثل الذي أدركت، فوقعوا منك في بحر لا يدرك عمقه، وفي بلاء لا يقدر قدره. فالله لنا ولك، وهو المستعان.

أما بعد: فأعرض عن كل ما أنت فيه حتى تلحق بالصالحين الذين دفنوا في أسمالهم، لاصقةً بطونهم بظهورهم، ليس بينهم وبين الله حجاب، ولا تفتنهم الدنيا، ولا يفتنون بها.

رغبوا فطلبوا، فما لبثوا أن لحقوا. فإن كانت الدنيا تبلغ من مثلك هذا المبلغ، مع كبر سنك، ورسوخ علمك، وحضور أجلك، فكيف يسلم الحدث في سنّه، الجاهل في علمه، المأفون في رأيه، المدخول في عقله؟ إنا لله وإنا إليه راجعون.

على من المعول؟ وعند من المستعتب؟ نشكو إلى الله بشنا، وما نرى فيك، ونحتسب عند الله مصيبتنا بك.

فانظر: كيف شكرك لمن غذاك بنعمه صغيراً وكبيراً، وكيف إعظامك لمن جعلك بدينه في الناس جميلاً، وكيف صيانتك لكسوة من جعلك بكسوته في الناس ستيراً، وكيف قربك أو بعدك ممن أمرك أن تكون منه قريباً ذليلاً؟

ما لك لا تنتبه من نعستك؟ وتستقيل من عثرتك؟ فتقول:
والله ما قمتُ لله مقاماً واحداً أُحييتُ به له ديناً، أو أمتُ له فيه
باطلاً، فهذا شكرك من استحملك؟! ما أخوفني أن تكون كما
قال الله تعالى في كتابه: ﴿أَصَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ
فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾. مريم / ٥٩.

استحملك كتابه، واستودعك علمه، فأضعتهما. فنحمد الله
الذي عافانا مما ابتلاك به. والسلام (١).

حوار مع الزهري

وروي أن الزهري قال لعلي بن الحسين عليه السلام: كان معاوية
يسكته الحلم، وينطقه العلم. فقال عليه السلام: كذبت يا زهري،
كان يسكته الحصر، وينطقه البطر (٢).

حوار الإمام مع عباد البصري:

وفي طريق الحج يلقي عباد البصري الإمام زين
العابدين عليه السلام وهو مقبل على الحج على طريق مكة. فيقول
للإمام تركت الجهاد وصعوبته، وأقبلت على الحج ولينه ثم

(١) تحف العقول / ٢٧٤ - ٢٧٧.

(٢) الاعتصام للقاسم بن محمد بن علي الزيدي. ط عمان: ١٤٠٣.

قرأ العباد قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ...﴾.

فقال له الإمام عليه السلام: اقرأ بعدها: فقرأ: ﴿النَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة: ١٢).

فقال زين العابدين عليه السلام: اذا ظهر هؤلاء لم نؤثر على الجهاد شيئاً^(١).

والإمام عليه السلام يُعَرِّضُ بالقيادة الأموية الظالمة التي كانت تتصدى يومئذ للقيادة والخلافة في العالم الاسلامي... ويقول لعباد البصري: إِنَّ القيادة الحاضرة المتصدية لا تصلح للإمامة والقيادة، ولا يجوز الركون إليها، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ هود/١١٣.

وكيف يصلح لإمام المسلمين (رجل، فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة، معلن الفسق)^(٢).

(١) من لا يحضره الفقيه: ١٤١/٢ ومناقب آل أبي طالب: ١٧٣/٤.

(٢) مقتبس من كلمة الإمام الحسين عليه السلام في التعريف بيزيد (احقاق الحق) بشرح السيد المرعشي: ٦١٥/٣٣ ولوائح الاشجان: ٢٥.

(رجل ينكح امهات الاولاد والبنات والاخوات ويشرب
الخمر، ويدع الصلاة) ^(١) .

وعلى هذا النهج كان علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام
يُعرضُ بخلفاء بني أمية الفاسدين ويطعن فيهم، وينفي
صلاحيتهم لإمامة أمة رسول الله صلى الله عليه وآله، وينكر على المتعاونين
معهم تعاونهم معهم وركونهم إليهم.

(١) مقتبس من كلمة عبد الله بن حنظلة الغسيل في التعريف بيزيد،
تاريخ الخلفاء: ص ٢٠٩

-٢-

**المحور التربوي في
إعداد الجماعة الصالحة**

الحالة السياسية والاجتماعية في عهد بني أمية

كانت خلافة بني أمية انتكاسة شديدة للمشروع الإسلامي في ثلاثة مواقع:

- ١- في المواقع القيادية للمجتمع الإسلامي الناشئ.
- ٢- في القيم والأحكام التي جاء بها رسول الله ﷺ من عند الله لهذه الأمة، وأحلها محل القيم والأعراف والأنظمة الجاهلية.

٣- في بناء الأمة التي وضع رسول الله ﷺ أسسها على هدى الوحي.

وإذا أخذنا بنظر الاعتبار أن الفترة الزمنية التي تفصل بين وفاة رسول الله ﷺ وقيام الحكومة الأموية أقل من نصف القرن. . نعرف مدى فداحة الخسارة التي أصابت الكيان الرباني الذي أقامه رسول الله ﷺ في دنيا الناس. . وإليك تفصيل هذا الإيجاز.

الموارث النبوية الثلاثة:

لقد توفي رسول الله ﷺ وخلف من بعده ثلاثة موارث.. وكانت هذه الموارث الثلاثة كافية لإنقاذ البشرية كلها من ظلمات الجاهلية. . وهذه الثلاثة هي:

١- ميراث المواقع القيادية الجديدة التي أحلها رسول الله ﷺ محل المواقع القيادية الجاهلية. . فقد جاء الإسلام بانقلاب شامل في المواقع القيادية، وضع الإسلام ناساً كانوا في قمة الهرم الاجتماعي في الجاهلية، ورفع ناساً كانوا في حضيض المجتمع الجاهلي من قبل.

وقد ثقل هذا التغيير في المواقع القيادية على الناس، وكانوا يعاتبون في ذلك رسول الله ﷺ. . ولكن رسول الله لم يكن يعاباً بهذا العتاب والنقد، ويعلم جيداً أن الطبقة التي كانت تمارس الدور القيادي في المجتمع الجاهلي، لا تصلح أن تتولى نفس الدور في هذا المجتمع الناشئ الجديد الذي أقامه الله موضع المجتمع الجاهلي، وأن العقول التي أُشربت بالأفكار والأعراف الجاهلية، وتكونت فيها لا تستطيع أن تمارس دور القيادة في هذا المجتمع الناشئ الذي قام على أنقاض الحياة الجاهلية...

وهناك علاقة وثيقة بين سلامة المواقع القيادية وسلامة الأمة، وسلامة القيم والأفكار والحدود التي تنظم حياة الأمة. وينعكس أي فساد وانحراف في المواقع القيادية على الأمة مباشرة في ثقافتها، واستقامتها، ومقاومتها، وحصانتها، ورفضها للظلم والفساد، وكذلك ينعكس على التراث

التشريعي والحضارة للأمة.

٢- ميراث القيم والحدود والأحكام الإلهية... وهو ميراث إلهي عظيم جاء به رسول الله ﷺ من عند الله وأحلّه محل التقاليد والأفكار والأعراف والأنظمة الجاهلية والقبلية... إن الحضارات تختلف وتعدد باختلاف القيم والأعراف والأنظمة والأحكام... فكان للمجتمع الجاهلي العربي أفكاره وأعرافه وأحكامه التي تخصّه، وللحضارات اليونانية، والفارسية، والرومانية، والهندية، والمصرية يومذاك أحكامها وأعرافها ونظمها وقيمها الخاصة بها. إلا أن هذه الحضارات جميعاً عربية وغير عربية كانت تجمعها المقاييس والأصول الجاهلية في التفكير والتنظيم والتقييم.

وجاء رسول الله ﷺ إلى البشرية بالإسلام، وهو نظام إلهي جديد على الناس، وقيمهم، ومعاييرهم في الحكم، وأنظمة حياتهم يومذاك، صادر من مصدر الوحي الإلهي، يتطابق مع فطرة الناس التي فطر الناس عليها، ويقع في امتداد الرسائل الإلهية السابقة عليه في خط تكاملي... يلغي في حياة الناس كل القيم والتنظيمات والأحكام الجاهلية، ويبنى الفرد والمجتمع بناءً جديداً على أسس ومقاييس جديدة تماماً على أفكار الناس... وهذا ميراث (تشريعي) و(قيمي)

و(عقائدي) عظيم خلفه رسول الله ﷺ من بعده في هذه الأمة.

ولحماية هذا الميراث الحضاري والتشريعي العظيم لابد من وجود قيادة أمينة، مستوعبة لشريعة الله وأحكامه وقيم هذه الشريعة ومعاييرها في التنظيم والتقييم.. وفي غير هذه الصورة إذا حدثت انتكاسة في المواقع القيادية في المجتمع، وتولّى قيادة الأمة الناشئة ناس من نفس الطبقة التي كانت تحكم المجتمع الجاهلي من قبل، قد تكوّنت عقولهم ونقوسهم في الحضارة الجاهلية... فسوف يكون لهذه الانتكاسة تأثير كبير في تحريف دين الله وأحكامه وقيمه، ولعل إهتمام الإسلام بسلامة المواقع القيادية (الإمامة) في المجتمع لهذا السبب.

وقد طلب إبراهيم عليه السلام بعد ان امتحنه الله بالكلمات الصعبة، ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾، ورزقه الإمامة العامة في حياة الناس (قال إني جاعلك للناس إماما).. طلب إبراهيم عليه السلام من الله أن يجعل الإمامة في ذريته (قال ومن ذريتي).

فاستجاب الله تعالى لدعاء عبده وخليفه إبراهيم، ولكن الله تعالى ذكره بأن عهده في الإمامة وقيادة الامة، لا ينال

الظالمين (قال لا ينال عهدي الظالمين)، ولن يكون الظالمون أهلاً لاستلام موقع الإمامة والقيادة في المجتمع الإسلامي.

٣- الامة، وهي الكيان الحضاري المبارك الذي جعله الله أمة وسطاً، وأمة شاهدة على الناس، وحاملة للتوحيد، وقيمه على البشرية ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾، البقرة/ ١٤٣.

وبناء هذا الكيان هو كل عمل الأنبياء وجهدهم وجهادهم في التاريخ..

وهذه الأمة هي التي حملت كلمة التوحيد إلى أرجاء المعمورة، وحملت عن رسول الله ﷺ تبليغ هذه الرسالة، وتحملت مسؤولية إزالة الاستكبار والشرك والكفر والفساد من وجه الأرض.

تلك هي الموارد الثلاثة الكبيرة التي أورثها رسول الله ﷺ أجيال المسلمين من أمته من بعده...

الانتكاسة

إلا أن هذه الموارد العظيمة تعرضت لانتكاسة شديدة على يد بني أمية، منذ عهد معاوية، وتحولت القيادة الإسلامية إلى ملك عضوض، وفقدت مقوماتها الدينية،

وتحولت إلى سلطة زمنية ظالمة، استخدمت لتحقيق أهدافها السياسية في بسط سلطانها ونفوذها كل الوسائل الممكنة، ما حظرها الله على أصحاب السلطان وما لم يحظر، وحكم بني أمية أتباعهم وأزلامهم في مرافق الدولة ومصالح المسلمين والولايات الإسلامية، بشكل واسع. وصدقت في ذلك نبوءة أبي سفيان وغايته التي كان يسعى إليها.

يقول ابن عبد البر في الاستيعاب:

أبأ سفيان دخل على عثمان حين صارت الخلافة إليه، فقال: قد صارت إليك بعد تيم وعدي، فأدرها كالكرة، واجعل أوتادها بني أمية، فإنما هو الملك ولا أدري ما جنة ولا نار.

فصاح به عثمان: قم عني فعل الله بك وفعل^(١).

ومر أبو سفيان بقبر حمزة (رضوان الله عليه)، عندما صارت الخلافة إلى عثمان، فضربه برجله، وقال: يا أبا عمار،

(١) الاستيعاب لابن عبد البر، بهامش الإصابة، مصر ١٣٢٨، ج ٤/ ٨٧، ثم قال ابن عبد البر: وله أخبار من نحو هذا رويت لم أذكرها، وفي بعضها ما يدل على أنه لم يكن إسلامه إسلاماً.

إن الأمر الذي تجالдна عليه، أصبح بيد صبياننا^(١).
... وهكذا كان، فقد تمكن بنو أمية من بسط سلطانهم
على كل أقاليم العالم الإسلامي، وتمكنوا من القضاء على
أكثر خصومهم السياسيين والفكرين، وقضوا بما نشروا في
الناس من الإفساد والإرهاب على حالات المقاومة والرفض
والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الأمة.

فلا يحدثنا التاريخ أن المجازر التي قام بها مسرف بن
عقبة في حرم رسول الله ﷺ بالمدينة أحدثت ردود فعل
بحجم الجريمة التي ارتكبها ابن معاوية في الأوساط
الإسلامية يومذاك. وهو أمر غريب، أن تحدث جريمة بهذه
البشاعة والسعة في حرم رسول الله ﷺ فلا ينهض المسلمون
للإنكار على بني أمية، ولم تحدث ثورات وانتفاضات رافضة
ومستنكرة لهذه الجريمة.

ويدخل الغناء والطرب في صلب فريضة الحج، وفي
منى، ويشغل حكام بني أمية المسلمين عن حجهم وعبادتهم
باللهو الذي حرمه الله، ويتسابق المطربون والمطربات في

(١) شرح البهجة لابن أبي الحديد: ١٣٦/١٦.

ليالي البيض في منى إلى عرض كفاءاتهم ومهاراتهم الفنية في فنون الغناء، ثم لا تجد من يستنكر ويشور وينتفض لهذا الانحراف الشديد عن فريضة الحج، وللخواء الذي أصاب الحج أيام بني أمية.

وكان عمر بن ربيعة شاعرهم ينتهك أعراض المسلمين ويتغزل بالنساء في طواف الحج، فلا يستطيع أحد أن يناله بسوء، لموقعه من بني أمية وحمايتهم له.

ويشرب الخليفة، ويسكر، ويرتاد قصره أصحاب المجون والخلاعة، ويمارس ألواناً من المجون، والخلاعة، والاستهتار، والسكر، والشرب وغير ذلك مما حرمه الله، فلا ينكر ذلك عليه أحد غير أصوات معترضة محدودة هنا وهناك.

ويقوم بنو أمية بتحريق الكعبة المشرفة وهدمها، ثم لا تجد لهذه الجريمة أصداء استنكار ورفض في العالم الإسلامي.

لقد كان للانحراف الذي حدث في موقع القيادة في هذه الأمة تأثير واسع على الأمة، وإرادتها، ووعيتها، ومقاومتها، وقدرتها على الرفض والاستنكار، والتزامها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما كان له تأثير سلبي على القيم

والأفكار والأحكام والحدود التي تعتبر المحتوى والإطار الحضاري لهذه الأمة.

وهو أمر طبيعي، فإن الفساد الذي يجري في قمة الهرم الاجتماعي في أية أمة ينسحب بالضرورة على كل المؤسسات والبنى والكيانات التي يتضمنها الهرم الاجتماعي، بقدر ما تفقد الأمة في هذا الفساد القيادي من حصانتها ومقاومتها وإرادتها. وكلما يكون تأثير هذا الإفساد أكثر في سلب حصانة الأمة ومقاومتها، يكون مداه أوسع وحجمه أكبر...

وقد رأينا قريبا أن بني أمي بسطوا نفوذهم السياسي في العالم الإسلامي عن طريق الإرهاب والفساد، وقد بسطت الكلام في ذلك في كتاب (وراث الأنبياء) بشكل موثق... وكان لأعمال الإرهاب والفساد الذي مارسه بنو أمية في وسط هذه الأمة دور كبير في تجريد الأمة عن المقاومة والمعارضة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. ورأينا فقهاء هذه الفترة يحمون البلاط الأموي من غضب الناس وثورتهم بالافتاء بحرمة الخروج على الظالم، مهما بلغ ظلمه مثل عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عمرو بن العاص، والزهري، وغيرهم.

الواقع السياسي والديني الذي عاشه علي بن الحسين عليه السلام :

هذه بالإجمال صورة مصغرة عن عصر الإمام زين العابدين عليه السلام.

لقد عاد الإمام عليه السلام من الشام إلى الحجاز بتصور كامل عن المنهج السياسي والاجتماعي والتربوي والتثقيفي الذي يفرضه عليه الظرف الصعب الذي ابتلاه الله تعالى به، في موقع الإمامة بعد مأساة الطف المروعة.

عاد الإمام عليه السلام إلى الحجاز ليواجه هذه الحقائق المؤسفة ماثلة إمامه في الحرمين الشريفين وفي الحجاز وعند عامة المسلمين.

لقد رأى علي بن الحسين عليه السلام بغي بني أمية في العراق والحجاز، وانتهاك حرمة الإسلام في كربلاء والمدينة ومكة، وسكوت المسلمين عن جرائم بني أمية وانتهاكاتهم، ورأى انتشار الفساد واللهو في بلاد المسلمين بدءاً بقصور الخليفة نفسه، مروراً بالحرمين الشريفين إلى سائر مناطق العالم الإسلامي دون أن تكون هناك مقاومة تذكر لهذا كله في المسلمين.

وكانت خيارات الإمام عليه السلام محدودة جداً في ظروف

القهر والارهاب الأموي لاستعادة الإسلام إلى مجاريه الطبيعية في وسط هذه الأمة، وإعادة بناء الأمة التي أفسدها بنو أمية إلى الخط الإسلامي الصحيح الذي نزل به الروح الأمين على رسول الله ﷺ.

بناء الجماعة الصالحة:

لقد توجه الإمام يومئذٍ إلى بناء (الجماعة الصالحة) التي تحمل قيم هذا الدين وثقافته وتجسد اهتماماته، وتنهض برسائله، وتلتزم بالتزاماته وتعهداته، وتسلك مسالك الأنبياء والصالحين في الحياة، لتكون هذه الجماعة هي الجماعة النموذجية الواقعية التي تتحرك على الأرض، وهي الأساس ونقطة البداية لإعادة بناء الأمة على الخط الإسلامي الصحيح النقي الذي جاء به رسول الله ﷺ من عند رب العالمين.

كانت هذه الخطوة هي الخطوة الاولى في عمل علي بن الحسين عليهما السلام واللبنه الأساسية التي بنى عليها أهل البيت عليهما السلام بنيانهم الثقافي والسياسي.

وكذلك نجد أن أئمة أهل البيت عليهما السلام يواصلون هذه الرسالة في بناء الجماعة الصالحة منذ عهد علي بن

الحسين عليه السلام حتى أيام الغيبة الصغرى.

واتّسعت فيما بعد رقعة هذه الجماعة في أيام علي الهادي وأبي محمد العسكري عليه السلام، وأصبح لها مراكز وتجمعات في الحجاز وبشكل خاص في المدينة، وفي اليمن، والكوفة، والبصرة، وبغداد (الكرخ) وجبل عامل، وخراسان، وقم، وري، وأهواز، وسجستان، وبُست، وواسط، وما وراء النهر، ومصر، والمغرب العربي . . وعلى العموم اتسعت رقعة هذه الجماعة (شيعة أهل البيت عليه السلام) في القرن الثالث الهجري إلى أغلب المناطق الإسلامية، وكان لهم فيها تجمعات، ومراكز، وحوزات علمية، وعلماء، ومحدثون، وشبكة منظمة وواسعة من الوكلاء، وجباة للأموال، والدعاة إلى مذهب أهل البيت عليه السلام، وكانت لهم ثقافة ومدارس، وكانوا يلتزمون بالتزامات أمنية متشددة، وبالسرية والتقية في العمل . . وكان لهذه الضوابط دور كبير في حفظهم وإبقائهم، رغم كل الإرهاب الذي كان يمارسه بحقهم بنو أمية، ومن بعدهم بنو العباس، حتى في أشد مراحل ضعفهم.

وكانت هذه الجماعة أساساً صالحاً لبناء ثقافي وسياسي
وحركي داخل هذه الأمة.

ونتوقف قليلاً عند هذه الكلمة (داخل هذه الأمة). فلم
تكن الغاية من هذه الحركة التربوية التي بدأها الإمام علي
بن الحسين عليه السلام، واستمرت حتى حياة الإمام أبي محمد
العسكري عليه السلام، ومن بعده في فترة الغيبة الصغرى، ثم آتت
ثمارها من بعد ذلك في الغيبة الكبرى. . أقول: لم تكن الغاية
من هذه الحركة، بناء جماعة صالحة بمعزل عن الأمة،
وخارج هذه الأمة، أو بناء أمة داخل الأمة، وإنما كانت الغاية
- كما سوف نتحدث عنه إن شاء الله - هي ان تكون هذه
الجماعة الصالحة نموذجاً صالحاً للتكامل والصلاح في هذه
الأمة.

ففي جميع مراحل الصراع بين أئمة أهل البيت عليهم السلام
وشيعتهم، وبين السلطة الأموية والعباسية كان أئمة أهل
البيت عليهم السلام يؤكدون على أمور ثلاثة، نجدها واضحة في
كلماتهم وتعاليماتهم.

مقاطعة حكام بني أمية وبني العباس الظلمة المنحرفين عن الإسلام، والابتعاد عنهم، وعدم الدخول في أعمالهم الا بقدر ما تقتضيه المصلحة الإسلامية في تسيير الامور... هذا أولاً.

وعلى حضور الجماعة الصالحة في وسط الأمة، وعدم اعتزالهم لأوساط الجمهور من هذه الأمة.. ثانياً.

وبناء الجماعة الصالحة الملتزمة بحدود الله، وقيم هذا الدين وأخلاقه وبالتواصل والتكافل فيما بينهما، وبالصبر والالتزام بالسرية (التقية) في حركتهم وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونشر ثقافة أهل البيت عليه السلام في المجتمع الإسلامي الكبير... ثالثاً.

إن إعداد الجماعة الصالحة كان من أولويات عمل أئمة أهل البيت عليهم السلام.. بدءاً من الإمام زين العابدين عليه السلام إلى فترة الغيبة الصغرى... وكان لهذه الجماعة تأثير واسع في حركة أهل البيت الثقافية والسياسية والاجتماعية... ولا نستطيع أن نفهم دور أهل البيت عليهم السلام وحركتهم بعد مصرع الحسين عليه السلام

إلى الغيبة الصغرى في مرحلة إمامة الإمام محمد المهدي عليه السلام ما لم نفهم قيمة هذه الجماعة في حركتها الثقافية والسياسية.

ولم تكن الغاية من هذه الجماعة (شيعة أهل البيت عليهم السلام) أن تكون بديلة عن الأمة، وإنما كانت الغاية أن تكون سبيلاً إلى تغيير الأمة سياسياً وثقافياً وحركياً... وهذه الجماعة - كما قلنا - هي الجماعة التي غلب عليها اسم (شيعة أهل البيت عليهم السلام) في تاريخ الإسلام وتعرضت لاتهامات ظالمة وعدوان ومقاطعة ومطاردة من قبل الحكّام الظالمين وازلامهم في التاريخ.

وهذه مسألة مهمة جداً في فهم التخطيط السياسي والثقافي لحركة أهل البيت عليهم السلام، ومن دون أن نأخذ هذه النقطة الأخيرة بنظر الاعتبار لا نستطيع أن نفهم الأهداف التي كان يتوخاها أهل البيت عليهم السلام بعد مصرع الحسين عليه السلام إلى الغيبة الصغرى.

وسوف نعود إلى هذه النقطة بصورة موثقة ومشروحة إن شاء الله.

والآن نتحدث عن منهج الإمام زين العابدين عليه السلام في إعداد الجماعة الصالحة.

ثقافة الجماعة الصالحة في تراث زين العابدين عليه السلام

فيما وصلنا من التراث الثقافي والدعائي من كلمات الإمام علي بن الحسين عليه السلام نجد إهتماماً واسعاً بثقافة الجماعة الصالحة.

وتتشعب هذه الثقافة إلى أبواب عديدة أهمها:

١- العلاقة بالله تعالى.

٢- الحقوق والمسؤوليات المتبادلة داخل الجماعة وفي وسط الأمة.

٣- الثقافة الحركية.

٤- الثقافة الوعظية.

٥- ثقافة الولاء والبراءة.

ثقافة الجماعة الصالحة

- ١ - ثقافة العلاقة بالله - الدعاء -
- ٢ - الحقوق والمسؤوليات المتبادلة داخل الجماعة الصالحة وفي وسط الأمة
- ٣ - الثقافة الحركية في كلمات الإمام زين العابدين عليه السلام
- ٤ - الثقافة الوعظية
- ٥ - التثقيف بمرجعية أهل البيت عليهم السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله
- و ثقافة الولاء والبراءة
- ٦ - ثقافة التكافل والتواصل الاجتماعي

١- ثقافة العلاقة بالله

وهذا هو أوسع أبواب ثقافة الجماعة الصالحة، ويعطيها الإمام زين العابدين عليه السلام الاهتمام الأكبر... ولا نعرف في تراث الإمام علي بن الحسين عليه السلام باباً أوسع وأغنى من هذا الباب.

والصحيفة المعروفة باسمه عليه السلام في الدعاء والمناجاة أعظمها أو كلها من هذا الباب، وكذلك أكثر ما يوجد في الصحائف الأخرى المأثورة عنه عليه السلام.

وكلمات الإمام زين العابدين في الدعاء والمناجاة كلمات رقيقة شفافة، تصدر عن قلب شفاف رقيق، مؤثرة في نفس الإنسان ، مربّية، معبرة عن عمق حالة فقر العبد إلى الله، وسعة رجائه في الله تعالى، وثقة العبد برحمة الله، وخوفه من غضب الله، واقتران الخوف بالرجاء في مقام الدعاء والعبودية، فلا يطغى الخوف على الرجاء ، ولا يطغى الرجاء على الخوف، تتعدد فيها ألوان العلاقة بالله. فإن العلاقة الراشدة بالله حزمة من العلائق من الخوف، والرجاء، والدعاء، والحب، والوله، والأنس، والشوق، والتضرع، والإنابة، والإخبات، والطاعة، والركون، والسكون إلى الله،

والاستغفار، والاستعاذة بالله، والتوكل على الله... ونحن نجد كل هذه الألوان من العلاقة في أدعية الإمام زين العابدين.. إن أدعية الإمام زين العابدين لوحات فنية من أروع ما يعرفه الإنسان في أدب الخطاب مع الله تعالى.. ولا أدري أي لوحة من هذه اللوحات أقدم للقارئ شاهداً على ما أقول، فكل أدعيته غرر.

باقية من دعاء الأسحار

اقرأ تسلسل الحمد في دعائه الذي يرويه عنه أبو حمزة الثمالي (رضوان الله عليه)، وكان يتهجده به الإمام في أسحار شهر رمضان:

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَدْعُوهُ فَيَجِيبُنِي، وَإِنْ كُنْتُ بُطِيئاً حِينَ يَدْعُونِي، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَسْأَلُهُ فَيُعْطِينِي، وَإِنْ كُنْتُ بُخِيلاً حِينَ يَسْتَقْرِضُنِي، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أُنَادِيهِ كُلَّمَا شِئْتُ لِحَاجَّتِي، وَأَخْلُو بِهِ حَيْثُ شِئْتُ لِسِرِّي، بِغَيْرِ شَفِيعٍ فَيَقْضِي لِي حَاجَّتِي. الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا أَدْعُو غَيْرَهُ وَلَوْ دَعَوْتُ غَيْرَهُ لَمْ يَسْتَجِبْ لِي دُعَائِي، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا أَرْجُو غَيْرَهُ وَلَوْ رَجَوْتُ غَيْرَهُ لَأَخْلَفَ رَجَائِي، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَكَّلَنِي إِلَيْهِ فَأَكْرَمَنِي، وَلَمْ يَكِلْنِي إِلَى النَّاسِ فَيُهِنُونِي، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

تَحَبَّبَ إِلَيَّ، وَهُوَ غَنِيٌّ عَنِّي، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَحْلُمُ عَنِّي حَتَّى كَأَنِّي لَا ذَنْبَ لِي، فَرَبِّي أَحْمَدُ شَيْءٍ عِنْدِي وَأَحَقُّ بِحَمْدِي). ترى هذا المسلسل الجميل للحمد، يأتي تباعاً حمداً، بعد حمد، مقترناً بالتذكير بنعمه وإحسانه تعالى الذي يحبب إلى العبد حمد ربه.

فيحمد العبد ربه الذي يدعو فيه، وإن كان العبد بطيئاً في الاستجابة لدعاء ربه. ويحمد الله الذي يسأله فيعطيه، وإن كان العبد بخيلاً عندما يستقرضه الله.

ويحمد ربه الذي يناديه كلما شاء لحاجاته، ويخلو به حيث شاء لسره، ويفتح له العبد من سر نفسه ما لا يبيحه للآخرين، من دون شفيع، ولا آذن ولا حاجب، يناجي ربه متى يحب، ويفتح مكنون قلبه له متى يريد، ويبثه همومه وشكواه متى أحب.

ويحمد ربه الذي يكل عبده إليه وإلى رحمته وفضله، ويغنيه ويكفيه، ولا يكله إلى عبادته فيهيئونه، ويطردوه. ويحمد الله الذي يتحبب إلى عبده، وهو غني عن حب عباده.

وفي نهاية هذا المسلسل من الحمد تأتي هذه الفقرة

الرائعة: (فربي أحمد شيء عندي، وأحق بحمدي).
فليس شيء في هذا الكون أحق بحمد العبد، من الله، فهو
تعالى (أحمد شيء لعباده).

وفيما يلي ننظر في لوحة أخرى من أدب الدعاء
والمناجاة للإمام علي بن الحسين عليه السلام في دعاء الاسحار
(حجتي يا الله في جرأتي على مسألتك، مع اتيانني ما تكره
جودك وكرمك. وعُدَّتِي في شدَّتِي مع قلة حيائي رأفتك
ورحمتك. وقد رجوت أن لا تخيب بين دين ودين منيتي).

الحجة: ما يحتج به العبد بين يدي الله تعالى
والْعُدَّة ما يستعد به العبد من رحمة الله تعالى وفضله
لمواجهة الشدائد والأزمات في الدنيا والآخرة، ولا بد للعبد
الخاطيء، وهو يستقبل الحساب والمسائلة من عند الله يوم
الحساب العسير، ويستقبل الازمات والعقبات الصعبة بعد
الموت في الحياة البرزخية ويوم القيامة، يوم يقوم الاشهاد ...
لا بد له من (حُجَّة) و (عُدَّة).

حجة يحتج بها في السؤال والطلب. ويقبلها الله.
وعُدَّة يقابل بها الازمات والشدائد في ذلك اليوم الصعب
العسير.

وحجة العبد بين يدي الله مع ما جاء به من المعاصي التي يكرهها الله ويمقتها، هي جوده وكرمه، فإن العبد يحتج عند الله بجوده وكرمه تعالى، فيما يطلب من العفو والمغفرة.

وعُدَّة العبد فيما يواجهه من الازمات والشدائد والعقبات هي رافته ورحمته تعالى.

فهما حُجَّتَانِ وَعُدَّتَانِ:

اما الحُجَّتَانِ فهما جوده وكرمه

واما العُدَّتَانِ في مواجهه الشدائد والأزمات، فهما رافته ورحمته.

والإمام يسأل الله أن لا يخيب أمله بين هاتين الحجتين. وهاتين العدتين: (بين ذين وذين).

وكيف يئأس العبد من ربه تعالى، ولديه حُجَّتَانِ (جوده وكرمه)، وَعُدَّتَانِ، هما (رافته وكرمه)؟

فاستمع إليه ﷺ في هذه الرائعة من روائع المناجاة، يقول، معتذرا الى الله، مسترحماً له، منياً، مستغفراً لله:

(حُجَّتِي بِاللَّهِ، فِي جَرَأَتِي عَلَى مَسَالَتِكَ، مَعَ اتْيَانِي مَا تَكْرَهُ جُودَكَ وَكَرَمَكَ.

وَعُدَّتِي فِي شِدَّتِي، مَعَ قَلَّةِ حَيَاتِي، رَافَتَكَ وَرَحِمَتَكَ
وقد رجوت ان لا تخيب بين ذين (الحجتين) وذين

(العدتين) منيتي (رجائي وأمنيتي).

وإليك نصاً آخر من هذا الدعاء الشريف:

دعاء الاضطراب:

(فبمن استغيث إن لم تقلني عثرتي؟ وإلى من أفزع إن فقدت عنايتك في ضجعتي؟ وإلى من ألتجأ إن لم تنفس كربتي؟ سيدي من لي؟ ومن يرحمني إن لم ترحمني؟ وفضل من أوصل إن عدمت فضلك يوم فاقتي؟ وإلى من الفرار من الذنوب إذا انقضى أجلي؟).

منازل الاضطراب

هذه منازل الاضطراب، حيث لا يجد الإنسان أمامه من يستغيث به، ويفزع إليه، غير الله.
وبمن يستغيث إذا انقطع عن الدنيا، ووري في التراب، وتجسدت أمامه عثراته وسيئاته، غير الله؟
وإلى من يفزع الإنسان يومئذ، وهو في مضجعه الأخير، لا يجد من يفزع إليه من ذنوبه، غير الله؟
وإلى من يلتجأ في ذلك اليوم الرهيب؟
وإلى من يفر بذنوبه إذا انقضى أمده في هذه الدنيا غير

الله؟

يومئذ يدرك الإنسان معنى الاضطرار حق الإدراك.

معنى الاضطرار:

والاضطرار هو أن يفقد الإنسان أمامه مسالك الخيارات، كلها، إلا مسلكاً واحداً، يضطر إليه.

فلو أن إنساناً أراد ان يغادر محل عمله إلى داره لوجد أسباباً كثيرة للوصول إلى داره من وسائل النقل، ولكن إذا حدث خلل في الطائرة التي يُقَلَّها على ارتفاع خمسة وعشرين ألف قدماً من الأرض، وأخذت تهتز كالسعة في أعماق الجو، فلا يبقى خيار للمسافرين إلا اللجوء إلى الله تعالى... فلو أن أهل الأرض جميعاً أرادوا أن ينقذوهم لم يستطيعوا إنقاذهم.

هذا هو معنى الاضطرار... يفقد الإنسان كل الخيارات إلا مسلكاً واحداً يضطر الإنسان إليه، ولا تبقى له مندوحة ولا سعة في الاختيار.

وهذه الحالة من الاضطرار عند اللجوء إلى الله تعالى في الدعاء هي التي تشير إليها آية سورة النمل في استجابة الدعاء (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء)... فإن من

يلجأ إلى الله، مضطراً، ولا يجد غير الله من يلجأ إليه، لا تفوته الإجابة البتة، إلا أن يكون في تأخير الإجابة أو تبديلها مصلحة يعرفها الله تعالى ولا يعرفها العبد^(١).

وإذا أراد العبد أن يدعو الله تعالى في حاجة من حاجاته لدنياه أو آخرته، عليه أن يقبل على الله بالدعاء في حالة الاضطرار، ليشمله وعد الله تعالى بالاستجابة لدعائه في آية سورة النمل.

روي أن الله تعالى أوحى إلى عيسى بن مريم عليه السلام:
(أدعني دعاء الحزين الغريق، الذي ليس له مغيث. يا عيسى، سلني، ولا تسل غيري، فيحسن منك الدعاء ومني الإجابة)^(٢).

وفي مناجاة لأمير المؤمنين عليه السلام: (إلهي لا تشبه مسألتي مسألة السائلين، لأن السائل إذا يُمنع امتنع، وأنا لا غناء بي عما سألتك)^(٣).

(١) راجع كتاب الدعاء عند أهل البيت (ع) للمؤلف.

(٢) وسائل الشيعة ٤/ ١١٧٤، ح ٨٩٥٨.

(٣) البلد الأمين: ٣١٦.

الانقطاع والاضطرار

ويتساءل المؤمنون: وأنى لنا أن نحقق حالة الاضطرار في نفوسنا وفي دعواتنا. . وهي حالة تكوينية واقعية، تحصل حيناً ولا تحصل أحياناً. . . وليس في كل حين يشعر الإنسان بالاضطرار في الدعاء، كما يشعر ركاب الطائرة التي تتعرض في أعماق الجو للخلل الفني.

وللإجابة على هذا السؤال نقول:

إن كل الناس في كل حاجاتهم - بدون استثناء - في حالة الاضطرار إلى الله، غير أن وعي الاضطرار لا يتسنى لكل أحد إلا نادراً.

فما من حاجة للإنسان إلا والإجابة فيها بيد الله تعالى، وحسب، والأسباب التي يسعى إليها الناس في قضاء حوائجهم كلها من عند الله. . خاضعة لأمر الله، ولا تستجيب للإنسان إلا بإذن الله، فلو طلب الإنسان الرزق في السوق، ووجد أبواب الرزق أمامه مفتوحة في السوق، باباً باباً، فليس معنى ذلك أن أمامه مجموعة من الخيارات في ابتغاء الرزق.

فإن هذه الأبواب كلها من خلق الله وخاضعة لسلطان الله، يملك الله تعالى أزمتهما ويحكمهما ويتحكم فيها، ويقبضها ويبسطها، وكم من نشيط ذكي يذهب إلى السوق فتغلق عليه

أبواب الرزق، فلا يجد سبيلاً إلى الرزق، في عرض السوق وطوله.

وكم من ضعيف بليد يرزقه الله تعالى ويسط له أبواب الرزق، وهذا هو معنى التوحيد في الرزق. يقول تعالى:

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾. هود/ ٦.

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾. الذاريات/ ٨.

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؟ قُلِ اللَّهُ﴾.

سبأ/ ٢٤.

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾. الرعد/ ٢٦.

﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾. سبأ/ ٣٦.

وليس هذا بمعنى ان الإنسان لا يطلب الرزق من أبوابه.

فإن الله تعالى يأمر الناس أن يطلبوا أرزاقهم من أبوابها.

﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾. الملك/ ١٥.

ولكن معنى ذلك أن يعرف الإنسان أن أبواب الرزق

وأساببه كلها بيد الله، وإن هذه الأسباب جميعاً خاضعة لأمر

الله، تعمل بإذن الله وأمره، سخرها الله تعالى للإنسان بأذنه. فلو

شاء ان يمنعها لم تتيسر لاحد.

فإذا وعى الإنسان هذه الحقيقة التوحيدية الكبرى، علم

أن الرزق بيد الله وحسب، ولا يرزقه أحد غير الله، وعلم أن

الشفاء بيد الله تعالى فقط، وأن الطب والدعاء أسباب سخرها
تعالى لعلاجها.

وعلم أن النصر بيد الله تعالى فقط وأن السلاح والقيادة
والعدة والعدد والتخطيط أسباب سخرها الله لنا. وإذا شاء الله
عطل هذه الأسباب ونقضها وحال بيننا وبين النصر.

فقد نصر الله تعالى المؤمنين ببدر وهم أذلة ضعفاء،
﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾. آل عمران / ١٢٣.

وهزموا في حنين، وهم كثرة، أقوياء، سادة الجزيرة، ثم
فتح الله عليهم ورزقهم النصر.

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ
شَيْئًا﴾. التوبة / ٢٥.

﴿كَمْ مِّنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ﴾. البقرة / ٢٤٩.

ذلك كله لنعلم أن النصر من عند الله. فقط.

﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾. آل عمران / ١٢٦،

الأنفال / ١٠

وأن الشفاء من عند الله.

﴿وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾. الشعراء / ٨٠.

وأن الرزق من عند الله.

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾. هود / ٦.

(اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ). الرعد / ٢٦ .
﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾.
الزمر / ٥٢ .

﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ
وَيَقْدِرُ﴾. الشورى / ١٢ .

وإذا وعى الإنسان هذه الحقائق يعرف أنه مضطر إلى الله
في كل شأن من شؤونه.

فإذا سعى إلى الرزق، فإن الرزق بيد الله تعالى وحده، وهو
مضطر إلى الله في تحصيل الرزق.

وإذا سعى إلى الشفاء عرف أن الشفاء بيد الله، وهو مضطر
إلى الله في تحصيل الشفاء.

وإذا سعى إلى النصر عرف أن النصر كله بيد الله ولا سبيل
له إلى تحقيق شيء من النصر إلا إذا أراد الله.

عندئذ يعي الإنسان معنى الاضطرار إلى الله تعالى في كل
شأن من شؤونه وكل حاجة من حاجاته.

وكل دعاء له عندئذ يكون عن اضطرار، ويقترن
بالاستجابة، كما وعدنا الله تعالى، إلا أن يكون في تأخير
الإجابة أو تبديله مصلحة للعبد لا يعرفها العبد، ويعرفها الله.

وهذا هو وعي الاضطرار. وكل الناس في كل شؤونه

مضطرون إلى الله تعالى.
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ
الْحَمِيدُ﴾. فاطر/ ١٥.

والفقر هو الاضطراب، ولا معنى للفقر غير الاضطراب.
وإنَّ لوعي الاضطراب مفتاحاً إذا عرفه العبد شرح الله
صدره للاضطراب اليه في حالات الرخاء، وأشعره الاضطراب
في اليسر والسعة. وهذا المفتاح هو قوله صلى الله عليه وآله،
كما في الرواية: (إسألوا الله عز وجل مابدا لكم من
حوائجكم حتى شفع النعل، فإنه إن لم ييسر لم يتيسر)^(١)
إنَّ الإنسان لا ينال شيئاً من أسباب الرزق والعافية والعلم
والزواج والذرية الا بتوفيق وتيسير من الله. فإن لم ييسر الله
تعالى لعبده أبواب ذلك وأسبابه لا يتيسر له.
ولكن من يعي هذا الاضطراب من الناس قليل... إن الناس
مضطرون إلى الله، ولكنهم لا يعون هذا الاضطراب.
والاضطراب في آية النمل هو وعي الاضطراب، وليس واقع

(١) مكارم الاخلاق للشيخ الطبرسي ص ٢٧٠ منشورات الشريف
الرضي وبحار الأنوار: ٢٩٥/٩٠.

الاضطرار.

ووعي الاضطرار هو الانقطاع إلى الله، حيث يقطع الإنسان أمله ورجاءه عن كل الأسباب، ويحصر أمله ورجاءه في الله تعالى، فإنه مسبب الأسباب.

فإن الانقطاع إلى الله ذو وجهين:

الوجه الاول: هو القطع عن كل سبب غير الله.

والوجه الثاني: هو حصر الطلب والسؤال والرجاء في الله

تعالى.

والانقطاع عمل اختياري، يقطع فيه الإنسان باختيار ومعرفة، أمله وطلبه عن كل سبب غير الله، ويحصر كل أمله ورجائه وطلبه في الله تعالى، فيدعو الله تعالى في الرخاء دعاء المضطر.

وفي الدعاء عن علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام:

(واجعلني ممن يدعوك في الرخاء دعاء المضطرين

لك) ^(١).

ويقول عليه السلام أيضاً: (اللهم إني أخلصت بانقطاعي إليك،

(١) الصحيفة السجادية / دعاء ٢٢.

وأقبلت بكلي عليك، وصرفت وجهي عنم يحتاج إلى
رفدك، وقلبت مسألتي عنم لا يستغني عن فضلك، ورأيت
أن طلب المحتاج إلى المحتاج سفه في رأيه، وزلّة من
عقله^(١).

كيف يلجأ الإنسان إلى الله في أيام اضطراره:

فإذا عرف الإنسان إضطراره إلى الله تعالى في منازل
الآخرة، وعرف أن لا سبيل له إلى تجاوز ذلك اليوم، ولا بد له
من استقبال تلك المنازل، ولا خيار له في تلك المنازل الصعبة
إلا اللجوء إلى الله . . فلا بد له من أن يسعى في الحياة الدنيا،
قبل أن يفارقها، إلى تحصيل مرضاة الله لتلك المنازل في
الآخرة.

وسبيل الإنسان لتحصيل مرضاة الله في تلك المنازل
الرهيبة هي طاعة الله تعالى والاستجابة لأمره في الدنيا.
تأملوا في هذه الآية الكريمة: ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِّن قَبْلِ
أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّלَجٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا
لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾. الشورى/٤٧.

(١) الصحيفة السجادية/ دعاء ٢٨ .

يدعو الله تعالى عباده للاستجابة لأمره في الحياة الدنيا، قبل أن يأتي اليوم الموعود الذي لا مردّ له، ولا يمكن تجاوزه... وعندئذ لا ملجأ لكم من الله إلا الله، ولا مجال للإنسان من الهروب عن الله، ﴿مَا لَكُمْ مِّن مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ﴾، ولا ينفعه إنكار ذنوبه وسيئاته بين يدي الله، ﴿وَمَا لَكُمْ مِّن نَّكِيرٍ﴾.

عودة الى دعاء الاضطرار:

ثم يقول عليه السلام: (سيدي لا تعذبني وأنا أرجوك).
إن الله تعالى كريم، وواهب الكرم للكرام. والكريم لا يعذب من يرجو عفوه وتجاوزه.
وإن الله عند حسن ظن عبده.
في الحديث القدسي: (أنا عند ظن عبدي، فلا يظن بي إلاّ خيراً)^(١).

وعن رسول الله ﷺ: (ادعوا الله، وأنتم موقنون بالإجابة).
وأوحى الله إلى موسى بن عمران عليه السلام: (ما دعوتني ورجوتني فأني سامع لك)^(٢).

(١) الميزان ٢: ٣٧.

(٢) وسائل الشيعة ٤ / ١١٠٥.

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: (إذا دعوت فأقبل بقلبك وظن حاجتك بالباب) ^(١).

وفي الدعاء الذي علمه أمير المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد النخعي رحمته الله:

(يا مولاي فكيف يبقى في العذاب، وهو يرجو ما سلف من حلمك؟ أم كيف تؤلمه النار وهو يأمل فضلك ورحمتك؟ أم كيف يحرقه لهيبها، وأنت تسمع صوته وترى مكانه؟ أم كيف يشتمل عليه زفيرها وأنت تعلم ضعفه؟ أم كيف يتقلقل بين أطباقها وأنت تعلم صدقه؟ أم كيف تزجره زبانتها وهو يناديك يا ربه؟ أم كيف يرجو فضلك في عتقه منها فتركه فيها؟... هيهات ما ذلك الظن بك، ولا المعروف من فضلك، ولا مشبه لما عاملت به الموحد من برك وإحسانك).

(١) أصول الكافي: ٥١٩. ووسائل الشيعة ٤/ ١١٠٥.

٢- الحقوق والمسؤوليات المتبادلة

داخل الجماعة الصالحة وفي وسط الأمة

رسالة الحقوق:

هذه الرسالة رسالة جلييلة، جمّة الفوائد، غزيرة المنافع، كتبها الإمام زين العابدين عليه السلام في تبيان وتنظيم الحقوق الثابتة على الإنسان .

وقد روى هذه الرسالة عن زين العابدين عليه السلام جمع من المحدثين منهم الشيخ الصدوق في (الخصال) وحسن بن علي بن شعبة بن الحسين الحراني في (تحف العقول)، وابن طاووس في (فلاح السائل).

ولا يسعنا الآن ان نتوقف عند هذه الرسالة بالشرح، ولكننا نشير قبل ان نذكر نص الرسالة، الى مجموعة من النقاط، هي التاملات الاولى المقتبسة من هذه الرسالة.

١- مبدأ الحقوق كلها هو الله تعالى:

هذه مسألة محورية هامة يفتح بها الإمام علي بن الحسين عليه السلام رسالته في الحقوق، فيقول:
(اعلم إن لله عز وجل حقوقاً محيطت بك في كل حركة

تحركتها أو سكتة سكتها)

ثم يفصل الإمام الحقوق التي جعلها الله تعالى على عباده
الى مجموعة من الحقوق:

اعظمها حق الله على عباده

ثم الحق الذي جعله الله للانسان على نفسه

ثم حقوق افعاله عليه (مثل صلاته وصومه)

ثم حقوق الائمة على الرعايا

ثم حقوق الرعايا على الائمة

ثم حقوق الارحام بعضها على بعض

ثم حقوق ذوي المعروف

ثم حق الإمام في الصلاة، والجار، والشريك، والغريم،

والخليفة، والخصم الذي يدعي على الإنسان أو يدعي عليه،

والمستشير، والناصح، والمستنصح، والسائل، والمسؤول،

كانوا من المسلمين أم من أهل الذمة. وهذه الحقوق كثيرة،

وكلها تثبت على الإنسان بحكم الله وتشريعه وجعله

وهذه مسألة مهمة (أصولية) في الإسلام، وتترتب على

هذه القضية قضايا كثيرة

فلا يثبت في دين الله لأحد على أحد حق إلا بحكم

وتشريع وجعل من الله، والله تعالى مبدء كل حق واصله في

حياة الإنسان ، تجاه أي شخص أو أي شيء .
ومن هذا المنطلق فلا يثبت لأحد على أحد ولاية وطاعة
بغير اذن الله وأمره، وما لم يصلنا هذا الاذن والأمر من جانب
الله، فلا تثبت ولاية لأنسان على انسان، بصورة شرعية، ما لم
يكن ذلك باذن وأمر من الله تعالى، سواء كان الأذن والامر
عاماً او كان خاصاً.

٢- موقع المسؤولية في حياة الناس:

ما هو مركز الإنسان في الحياة؟
هل هو الولاية والسيادة على نفسه وما يتعلق به، والتحرر
من كل سلطان وولاية عليه، الا ما يقرره لنفسه من ولاية
الانظمة والقوانين؟

ام هو موقع المسؤولية والطاعة تجاه الله تعالى.
المذهب الديمقراطي، وهو المذهب السياسي الشائع اليوم
بين الانظمة في العالم يذهب الى الاتجاه الاول، ويرى أن
موقع الإنسان في الحياة موقع الولاية والسيادة المطلقة على
نفسه، ولا تصح سيادة أحد على أحد الا بقدر ما يتنازل
الإنسان للنظام والهيئة الحاكمة والقانون من حريته بارادته
واختياره....

وهذه النظرية في جذورها نظرية مادية وإن كان
 الملتزمون بها مسلمين أو من أهل الكتاب ... فان أصل
 النظرية قائم على نفي سلطان الله تعالى التشريعي وحقه في
 تقرير مصير عباده ... وهذا هو معنى سلطان الإنسان على نفسه
 وتحريره من أي سلطان آخر الا بقدر ما يتنازل له باختياره.
 ونفي سلطان الله تعالى وحقه على الإنسان بمعنى رفض
 الإيمان بالله تعالى راساً، فان الإيمان بالله تعالى الخالق المالك
 المهيمن المدبر يعادل الاعتراف بسلطان الله وحقه المطلق
 على الإنسان ومصيره في الحكم والتشريع.
 ولذلك قلنا بأن هذه النظرية في أصولها وجذورها مادية،
 إذا أخذنا ملازماتها بنظر الاعتبار.

وهذا الذي شرحناه بلغة العقل من ولاية الله تعالى المطلقة
 وحقه المطلق على الإنسان ، ونفي أي سلطان اخر في حياته،
 غير سلطان الله ... هو ما يقرره القرآن الكريم بلغة التشريع
 يقول تعالى:

﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ يوسف / ٤٠، الانعام / ٥٧.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ الأعراف / ٣

﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ هود / ٢٠

وهذه الايات وغيرها في كتاب الله صريحة في نفي أية

حاكمية وسيادة في حياة الإنسان ، سواءً كانت هذه السيادة المنفية سيادة الآخرين عليه، او ولايته هو على نفسه، فان الآيات الكريمة صريحة في حصر الولاية والسيادة في حياة الإنسان في الله تعالى (إن الحكم إلا لله)، ويتضمن الحصر السلب والایجاب معاً ، سلب ولاية الإنسان على نفسه وولاية الآخرين عليه، وإيجاب ولاية الله تعالى عليه.

وهذا الحكم الثابت في القرآن بلغة التشريع تحدثنا عنه قبل قليل بلغة العقل.

وعليه فلا يكون مركز الإنسان في الحياة الدنيا، بموجب حكم العقل والشرع، مركز الولاية والسيادة وإنما مركز المسؤولية والطاعة لله تعالى.

وكل الولايات والحقوق الثابتة للإنسان او عليه في الحياة الدنيا، لا بد ان تأتي في امتداد ولاية الله وسلطانه عليه، ومن دون ذلك فلا تصح ولاية في حياة الإنسان له على الآخرين، او للآخرين عليه.

وهذا الموقع الذي شرحناه بايجاز هو ما يقرره زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق.

يقول عليه السلام: (إنَّ لله عزَّ وجلَّ حقَّاً تحيط بالإنسان في كل حر كاته وسكاته).

ثم يفصلُ الإمام أمهات الحقوق الثابتة للإنسان وعلى الإنسان ، فيعد الإمام عليه السلام ذلك إمتداد لحق الله عليه، وجعله وتشريعه في حقه.

٣- الحقوق التي تنظم شبكة العلاقات:

إن تنظيم هذه الشبكة الواسعة للعلاقة والارتباط والانتماء التي تربط الإنسان بالآخرين: وبأهله وقومه وأبنائه وآبائه وأمّهاته وأبناء وطنه وولاية الأمر وأهل ملته ودينه وغيرهم من الناس على وجه الأرض ... شيء أساسي في سلامة الفرد والمجتمع ... فإذا كانت هذه الشبكة قائمة على أصول ونظام صحيح يسعد به الفرد والمجتمع، وإذا كانت هذه الشبكة قائمة على أساس الاستثثار، والاستثمار، والاستكبار، والاستعباد، والخداع، والتغريب، والتضليل، والظلم ... شقى به الفرد والمجتمع، وكانت هذه الشبكة مصدر حروب وخلافات وظلم وإرهاب في حياة الناس.

ولذلك فإن تنظيم هذه الشبكة وتأسيسها على أسس صحيحة هو سبيل سعادة الإنسان وسلامته في الدنيا والاخرة. والذي يقرأ رسالة الإمام علي بن الحسين عليه السلام في الحقوق يجد أن الإمام زين العابدين عليه السلام يرسم هذه الشبكة

باوسع مدى يمكن ان تمتد إليه علاقات الإنسان ، وتشمل حتى خصومه في القضاء والدعاوي واهل الذمة، من غير الاسلام.

ويجعل أساس هذه الشبكة (الحق)، والآلية التي تنظم العلاقات بين الإنسان والأطراف الاخرى هي الحق ايضاً. واذا كان الحق أساساً لتنظيم العلاقات داخل هذه الشبكة، فانه يسع الجميع، ومن يضيق عليه الحق، فإن الباطل اضيق عليه.

وسلام الله على أبي الحسن علي عليه السلام، كان يقول:
(من ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق)^(١).

فان بعض الناس يهربون من العدل والحق، لانهم يجدون فيهما تضيقاً عليهم ... ولو أمعنوا النظر وتدبروا في الأمر، ونظروا نظرة أعمق الى الأمر وجدوا أنّ الباطل والجور الذين يهربان إليه أضيق عليهما في عاقبة الأمر.

٤- الأبعاد الأربعة للشبكة:

من خلال كلمات الإمام زين العابدين عليه السلام نجد أن شبكة

(١) نهج البلاغة: خ/١٥.

العلاقات في حياة الإنسان ذات اربعة ابعاد:

١- البعد الصاعد

٢- البعد النازل.

٣- البعد الافقي.

٤- البعد الذاتي.

وهذا اوسع ما يمكن ان يتصوره الإنسان لشبكة العلاقات في حياة الإنسان . وقد وجدنا هذه الاربعة في رسالة الإمام زين العابدين عليه السلام في الحقوق.

ومبدأ الابعاد الاربعة كلها هو الله سبحانه كما قلنا، وكل الحقوق الجارية على هذه الابعاد الاربعة تثبت بأمر الله تعالى وجعله وتشريعه.

وإليك توضيح الابعاد الاربعة.

١- البعد الصاعد في علاقة الإنسان بالله تعالى، وأنبيائه عليهم السلام ، وأولي الأمر الذين ولاهم الله تعالى أمره، وسائسه في الرعاية والملك والعلم، كما ورد في رسالة الحقوق، وكل من له ولاية وقيمومة على الإنسان وحقوقهم عليه ... فهذه طائفة واسعة من الحقوق تبدأ بحقوق الله تعالى على عبده ثم حقوق ولاية الأمر عليه ثم حقوق القيمين عليه.

٢- البعد النازل وهو الحقوق الثابتة للإنسان على من

يتولّى أمرهم، من رعاياه، وأبنائه وبناته واهله، اذا كانوا تحت قيمومته، وإجرائه، وخدمه، ومن يسوسهم في الولاية والسلطان او في الملك او في العلم ... ومن يقع على هذا الخط.

٣- البعد الافقي، وهو الحقوق الثابتة على الإنسان من اصحابه، وجلسائه، وجيرانه، وشركائه، وخصومه، ومن يستشيرهم، ومن ينصحه، ومن ينصحهم، وضيوفه وغيرهم والأمة بعرضها العريض ممن يقع على هذا الخط.

٤- البعد الذاتي وهو علاقة الإنسان بنفسه وجوارحه وافعاله وسوف نتحدث عنه ان شاء الله في نقطة قادمة. هذه هي الابعاد الاربعة لشبكة العلاقات في رسالة الإمام علي بن الحسين عليه السلام ، وهي اوسع ما نعرف من شبكة وتنظيم لعلاقات الإنسان .

٥- الحقوق الذاتية:

هذا افق جديد من العلاقات والحقوق فتحه القرآن لأول مرة في تاريخ الفكر الإنساني، في علاقة الإنسان بنفسه وحقه على نفسه، ولا نعرف لهذا الفكر سابقة قبل القرآن.

ومن عجب أنَّ علاقة الإنسان بنفسه، وحقه عليها وظلمه لها أو إحسانه إليها، من القضايا التي يحس بها الإنسان احساساً وجدانياً، ولكن لم يكشف علم النفس هذه العلاقة، ولم يكتشف القانون والحقوق ما يترتب على هذه العلاقة من قوانين وحقوق من قبل القرآن ... والقرآن أول كتاب يرفع الستار عن هذا الأفق الواسع في علاقات الإنسان.

ويقرّر القرآن بوضوح أن الإنسان قد يجهل نفسه ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ الأحزاب / ٧٢

يعني ظلوم لنفسه جهولاً لها، يظلم نفسه ويجهلها. وقد يكون الإنسان ممن آتاهم الله نوراً يرى به نفسه ﴿سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ فصلت / ٥٤

والإنسان إذا رأى نفسه، يرى فيها كبرى آيات الله تعالى. وقد يهلك الإنسان نفسه ﴿وَإِنْ يُهُلِكُوا إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ الأنعام / ٢٦.

وقد يكذب الإنسان على نفسه ﴿انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ الأنعام / ٢٤.

وقد يخسر الإنسان نفسه ﴿وَالْعَصْرِ﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿يعني يخسر نفسه، وهي الخسارة الكبرى التي لا تعوض .

وقد يظلم نفسه ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ آل عمران/ ١١٧.

وقد يمقت الإنسان نفسه ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾، غافر / ١٠ .

والحديث في هذا الموضوع طويل، تحدثنا عنه في الجزء الرابع من كتاب (في رحاب القرآن). ومن يحب ان يتابع هذا الموضوع الشيق فعليه ان يراجع هذا الكتاب.

والعلاقة تستتبع الحق ... ففي كل علاقة حق، كما سبق وأن اشرنا الى ذلك في النقاط المتقدمة، فيثبت للانسان حق على نفسه، ولجوارحه عليه حقاً.

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في هذه الرسالة (ثم ما أوجب الله عز وجل عليك لنفسك من قرنك إلى قدمك على اختلاف جوارحك، فجعل عز وجل لسانك عليك حقاً، ولبصرك عليك حقاً، وليدك عليك حقاً، ولرجلك عليك حقاً، ولبطنك عليك حقاً، ولفرجك عليك حقاً ... فهذه الجوارح

السبع التي بها تكون الافعال، ثم جعل عز وجل لافعالك عليك حقوقاً).

... ثم تخرج الحقوق منك الى غيرك)

اذن: الإمام عليه السلام يقسم الحقوق الى ثلاث طوائف
حق الله تعالى على الإنسان وهو اعظم هذه الحقوق
جميعاً، ثم حق نفسه عليه، وتأتي في الدرجة الثانية، ثم
يخرج الحق منه الى غيره، فيشمل الآخرين.
والطائفة الثانية من هذه الحقوق هي حق الإنسان على
نفسه.

٦- علاقة الإنسان بفعله ومسؤوليته عنه:

واذا كانت علاقة الإنسان بنفسه من رقائق ثقافة القرآن،
فإن علاقة الإنسان بافعاله أرق من ذلك ... إن أفعال الإنسان
وحر كاته هي جهده الذي يتبلور في صورة صلاة او جهاد أو
سعي إلى الرزق او لهو او غش أو خيانة.

ان هذا الجهد الذي يصرفه الإنسان يمكن أن يكون أمانة
او يكون خيانة، ويكون صدقاً، او يكون كذباً يكون صلاحاً
او يكون فساداً، يكون تقوى او يكون فسوقاً ... فاذا وجه
الإنسان جهده نحو الفسوق فان هذا الجهد الذي آتاه الله

تعالى يسأله يوم القيامة لِمَ وجهه باتجاه الفسوق.
واذا وجه الإنسان جهده نحو الصلاة، ولكنه لم يؤتها
حقها من الخشوع والاقبال، فان هذا الجهد يسأله يوم القيامة
لِمَ لَمْ يؤته من الاقبال والخشوع ما يستحق؟ ... وهكذا ... كل
جهد الإنسان يتبلور على هيئة عمل صالح او فاسد يسائل
الإنسان يوم القيامة عن كل تقصير لصاحبه تجاهه ... وهذا
أرق ما نعرف في علاقة الإنسان بنفسه وجهده.

يقول علي بن الحسين عليه السلام : (ثم جعل عز وجل لافعالك
عليك حقوقاً، فجعل لصلاتك عليك حقاً، ولصومك عليك
حقاً، ولصدقتك عليك حقاً).

إن صيامه يشكوه الى الله تعالى يوم القيامة ويسأله اذا
اغتاب المؤمنين في صيامه، ولم يكفّ لسانه عن الغيبة ولم
يكف يده عن العدوان على الآخرين.

وصدقته تشكوه الى الله تعالى يوم القيامة، وتسأله، اذا
كان يُعرّف بصدقته ويظهرها، فيفقد قيمتها ... وهكذا
تشكوه عبادته الى الله تعالى اذا كان يرائي ويتظاهر بها...

٧- التبادل في الحقوق:

هذه الحقوق تجري على الإنسان وللإنسان بصورة

متبادلة فيثبت عليه للآخرين الحق، كما يثبت له على الآخرين، الا الله تعالى، فان الثابت على العبد هو أداء حق الله تعالى إليه، وأما من جانب الله تعالى فليس الا الفضل على عباده.

ومن تلك الحقوق المتبادلة الواردة في رسالة الإمام زين العابدين عليه السلام حق الاب على ابنائه وبناته وبالعكس.
وحق الاخ على اخيه وبالعكس.
وحق المولى على مولاه الذي انعم عليه وبالعكس.
وحق الجليس على الجليس.
وحق الجار على الجار .
وحق الصاحب على الصاحب .
وحق الشريك على الشريك.
إلى آخر هذه الحقوق، وهي جميعاً متبادلة بين الطرفين، وكما يثبت على الإنسان يثبت له ايضاً.

والان، بعد هذه الجولة في التاملات التي إقتبسناها من رسالة الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام نذكر نص هذه الرسالة، برواية الصدوق رحمته الله في الخصال ... على أمل ان يرزقنا الله تعالى توفيقاً لشرح هذه الرسالة الجليلة ان شاء الله تعالى.

رسالة الإمام زين العابدين عليه السلام في الحقوق:

(اعلم رحمك الله أن الله عليك حقوقا محيطة بك في كل حركة حركتها، أو سكونة سكنتها، أو حال حلتها أو منزلة نزلتها، أو جارحة قلبتها، أو آلة تصرف فيها.

فأكبر حقوق الله عليك ما أوجبه عليك لنفسه من حقه الذي هو أصل الحقوق ، ثم ما أوجبه عز وجل عليك لنفسك من قرنك إلى قدمك على اختلاف جوارحك، فجعل للسانك عليك حقا، ولسمعك عليك حقا، ولبصرك عليك حقا، وليدك عليك حقا، ولرجلك عليك حقا، ولبطنك عليك حقا، ولفرجك عليك حقا، فهذه الجوارح السبع التي بها تكون الأفعال.

ثم جعل عز وجل لأفعالك عليك حقوقا : فجعل لصلاتك عليك حقا، ولصومك عليك حقا، ولصدقتك عليك حقا، ولهديك عليك حقا، ولأفعالك عليك حقا.

ثم تخرج الحقوق منك إلى غيرك من ذوي الحقوق الواجبة عليك، فأوجبها عليك حقوق أئمتك، ثم حقوق رعيتك، ثم حقوق رحمك. فهذه حقوق تشعب منها حقوق. فحقوق أئمتك ثلاثة: أوجبها عليك حق سائلك

بالسلطان، ثم حق سائسك بالعلم، ثم حق سائسك بالملك،
وكل سائس إمام

وحقوق رعيتك ثلاثة أوجبها عليك: حق رعيتك
بالسلطان، ثم حق رعيتك بالعلم، فإنَّ الجاهل رعية العالم، ثم
حق رعيتك بالملك من الأزواج، وما ملكت من الإيمان.

وحقوق رعيتك كثيرة متصلة بقدر اتصال الرحم في
القربة. وأوجبها عليك حق أمك ثم حق أبيك، ثم حق ولدك،
ثم حق أخيك، ثم الأقرب فالأقرب، والأول فالأول، ثم حق
مولاك المنعم عليك، ثم حق مولاك الجاري نعمته عليك، ثم
حق ذوي المعروف لديك، ثم حق مؤذنتك لصلاتك، ثم حق
إمامك في صلاتك، ثم حق جليسك، ثم حق جارك، ثم حق
صاحبك، ثم حق شريكك، ثم حق مالك، ثم حق غريمك
الذي تطالبه، ثم حق غريمك الذي يطالبك، ثم حق خليطك،
ثم حق خصمك المدعي عليك، ثم حق خصمك الذي تدعي
عليه، ثم حق مستشيرك، ثم حق المشير عليك ثم حق
مستنصحك، ثم حق الناصح لك، ثم حق من هو أكبر منك،
ثم حق من هو أصغر منك، ثم حق سائلك، ثم حق من سألته،
ثم حق من جرى لك على يديه مساءة بقول أو فعل أو مسرة
بذلك، بقول أو فعل، عن تعمد أو غير تعمد، ثم حق أهل

ملتك عامة، ثم حق أهل الذمة، ثم الحقوق الجارية بقدر علل الأحوال وتصرف الأسباب.

فطوبى لمن أعانه الله على قضاء ما أوجب عليه من حقوقه ووفقه وسدده.

تفصيل الحقوق:

حق الله:

فأما حق الله الأكبر عليك: فأن تعبد، لا تشرك به شيئاً، فإذا فعلت بإخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة.

حق النفس:

وحق نفسك عليك: أن تستعملها بطاعة الله عز وجل.

حقوق الأعضاء:

١- وحق اللسان: إكرامه عن الخنى، وتعويده على الخير، وترك الفضول التي لا فائدة لها، والبر بالناس، وحسن القول فيهم.

٢- وحق السمع: تنزيهه عن سماع الغيبة، وسماع ما لا يحل سماعه.

٣- وحق البصر: ان تغضه عما لا يحل لك وتعتبر بالنظر به.

٤- وحق يدك أن لا تبسطها إلى ما لا يحل لك .

٥- وحق رجلك أن لا تمشي بهما إلى ما لا يحل لك، فبهما تقف على الصراط، فانظر أن لا تزل بك فتردى في النار.

٦- وحق بطنك أن لا تجعله وعاءاً للحرام، ولا تزيد على الشبع.

٧- وحق فرجك: ان تحصنه عن الزنا، وتحفظه من أن ينظر اليه .

حقوق الأفعال:

١- وحق الصلاة أن تعلم أنها وفادة إلى الله عز وجل وأنت فيها قائم بين يدي الله عز وجل.

فإذا علمت ذلك قمت مقام العبد الذليل، الحقير، الراغب، الراهب، الراجي، الخائف، المستكين، المتضرع، المعظم لمن كان بين يديه، بالسكون، والوقار، وتقبل عليها بقلبك، وتقيمها بحدودها وحقوقها.

٢- وحق الحج: أن تعلم أنه وفادة إلى ربك، وفرار إليه من

ذنوبك، وبه قبول توبتك، وقضاء الفرض الذي أوجبه عليك.
٣- وحق الصوم: أن تعلم أنه حجاب ضربه الله على
لسانك، وسمعك، وبصرك وبطنك وفرجك ليسترك به من
النار، فان تركت الصوم خرقت ستر الله عليك.

٤- وحق الصدقة أن تعلم أنها ذخرك عند ربك عز وجل،
ووديعتك التي لا تحتاج إلى الإشهاد عليها، فإذا علمت ذلك
كنت بما استودعته سرا أوثق بما استودعته علانية، وتعلم أنها
تدفع البلايا والاسقام عنك في الدنيا، وتدفع عنك النار في
الآخرة.

٥- وحق الهدى: أن تريد به وجه الله عز وجل، ولا تريد
به خلقه، ولا تريد به الا التعرض لرحمة الله ونجاة روحك
يوم تلقاه .

حقوق الأئمة

١- وحق السلطان: أن تعلم أنك جعلت له فتنة، وأنه مبتل
فيك بما جعله الله عز وجل له عليك من السلطان، وأن عليك
أن لا تعرض لسخطه فتلقى بيدك الى التهلكة، وتكون
شريكاً له فيما ياتي اليك من سوء

٢- وحق سائسك بالعلم: التعظيم له، والتوقير لمجلسه،

وحسن الاستماع اليه، والاقبال عليه، وأن لا ترفع عليه صوتك، وان لا تجيب أحدا يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يجيب، ولا تحدث في مجلسه أحداً، ولا تغتاب عنده أحداً، وأن تدفع عنه إذا ذكر عندك بسوء، وأن تستر عيوبه، وتظهر مناقبه، ولا تجالس له عدواً، ولا تعادي له ولياً، فإذا فعلت ذلك شهد لك ملائكة الله بأنك قصدته وتعلمت علمه لله جل اسمه لا للناس.

٣- وأما حق سائلك بالملك: فان تطيعه ولا تعصيه الا فيما يسخط الله عز وجل، فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

حقوق الرعية :

١- وأما حقوق رعيك بالسلطان: فأنت تعلم أنهم صاروا رعيك لضعفهم وقوتك، فيجب ان تعدل فيهم، وتكون لهم كالوالد الرحيم، وتغفر لهم جهلهم، ولا تعاجلهم بالعقوبة، وتشكر الله عز وجل على ما آتاك من القوة عليهم .

٢- وأما حق رعيك بالعلم: فأنت تعلم أن الله عز وجل إنما جعلك لهم قيماً، فيما آتاك من العلم، وفتح لك من خزائنه، فان أحسنت في تعليم الناس، ولم تخرق بهم، ولم تفجر عليهم زادك الله من فضله، وإن أنت منعت علمك او خرقت

بهم عند طلبهم العلم منك كان حقاً على الله عز وجل أن يسلبك العلم وبهائه، وَيُسَقِّطُ مِنَ الْقُلُوبِ مُحَلِّكَ.

٣- وأما حق الزوجة: فإن تعلم ان الله عز وجل جعلها لك سكناً وانساً، فتعلم أن ذلك نعمة من الله عليك، فتكرمها وترفق بها، وان كان حقك عليها أوجب فإن لها عليك أن ترحمها، لانها أسيرك، وتطعمها، وتكسوها، فاذا جَهِلَتْ عفوت عنها.

حقوق الرحم:

١- وحق أمك: أن تعلم أنها حملتك، حيث لا يحمل أحد أحداً، وأعطتك من ثمرة قلبها ما لا يعطي احداً احداً، وَوَقَّتَكَ بجميع جوارحها، ولم تبال أن تجوع وتطعمك، وتعطش وتسقيك، وتعري وتكسوك، وتضحى وتظلك، وتهجر النوم لاجلك، وَوَقَّتَكَ الحرَّ والبرد لتكون لها، فانك لا تطيق شكرها الا بعون الله تعالى وتوفيقه.

٢- وأما حق أبيك: فإن تعلم أنه أصلك، وأنه لولاه لم تكن فمهما رأيت في نفسك مما يعجبك فاعلم أن أباك أصل النعمة عليك فيه، فأحمد الله واشكره على قدر ذلك، ولا قوة الا بالله.

٣- وأما حق ولدك: فان تعلم أنه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره، وأنت مسؤول عما وليته من حسن الأدب، والدلالة على ربه عز وجل، والمعونة له على طاعته، فاعمل في أمره عمل من يعلم أنه مثاب على الاحسان اليه، معاقب على الاساءة اليه.

٤- وأما حق أخيك فتعلم أنه يدك وعزك وقوتك، فلا تتخذة سلاحاً على معصية الله، ولا عدة للظالم لخلق الله، ولا تدع نصرته على عدوه والنصيحة له، فان اطاع الله والا فليكن الله أكرم عليك منه، ولا قوة الا بالله.

الحقوق الثابتة لعامة الناس:

١- وأما حق ذي المعروف عليك: فان تشكره وتذكر معروفه، وتكسبه المقالة الحسنة، وتخلص له الدعاء فيما بينك وبين الله عز وجل، فاذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سراً وعلانية، ثم إن قدرت على مكافأته يوماً كافيته.

٢- وأما حق إمامك في صلاتك: فأنت تعلم أنه قد تقلد السفارة فيما بينك وبين ربك عز وجل، وتكلم عنك ولم تتكلم عنه، ودعا لك ولم تدع له، وكفاك هول المقام بين يدي الله عز وجل، فان كان به نقص كان به دونك، وان كان

تماماً كنت شريكه، ولم يكن له عليك فضل، فوقى نفسك بنفسه، وصلاتك بصلاته، فتشكر له على قدر ذلك.

٣- وأما حق جليسك: فأن تلين له جانبك، وتنصفه في مجازاة اللفظ، ولا تقوم من مجلسك الا باذنه، ومن يجلس اليك يجوز له القيام عنك بغير اذنك، وتنسى زلاته، وتحفظ خيراته، ولا تسمعه الا خيراً.

٤- وأما حق جارك: فحفظه غائباً، وإكرامه شاهداً، ونصرته اذا كان مظلوماً، ولا تتبع له عورة، فان علمت عليه سوءاً سترته عليه، وإن علمت انه يقبل نصيحتك نصحته فيما بينك وبينه، ولا تسلمه عن شديدة، وتقبل عثرته، وتغفر ذنبه، وتعاشره معاشرة كريمة، ولا قوة الا بالله.

٥- وأما حق الصاحب: فأن تصحبه بالتفضل والانصاف، وتكرمه كما يكرمك، وكن عليه رحمة، ولا تكن عليه عذاباً ولا قوة الا بالله.

٦- وأما حق الشريك: فإن غاب كفيته، وإن حضر رعيته، ولا تحكم دون حكمه، ولا تعمل برأيك دون مناظرته، وتحفظ عليه ماله، ولا تخونه فيما عزاو هان من أمره، فان يد الله تبارك وتعالى على الشريكين ما لم يتخاونا، ولا قوة الا بالله.

٧- وأما حق مالك: فإن لا تأخذه إلا من حله، ولا تنفقه إلا في وجهه، ولا تؤثر على نفسك من لا يحمذك، فاعمل فيه بطاعة ربك، ولا تبخل به فتبوء بالحسرة والندامة مع السعة، ولا قوة إلا بالله.

٨- وأما حق غريمك الذي يطالبك: فإن كنت موسراً أعطيته، وإن كنت معسراً أرضيته بحسن القول، ورددته عن نفسك رداً لطيفاً.

٩- وأما حق الخليط: فأَنْ لا تغره ولا تغشه ولا تخدعه، وتتقي الله تبارك وتعالى في أمره.

١٠- وحق الخصم المدعي عليك: فإن كان ما يدعي عليك حقاً كنت شاهده على نفسك، ولم تظلمه، وأوفيته حقه، وإن كان ما يدعي باطلاً رفقت به، ولم تات في أمره غير الرفق، ولم تسخط ربك في أمره، ولا قوة إلا بالله.

١١- وحق خصمك الذي تدعي عليه: إن كنت محقاً في دعوتك أجملت مقاولته، ولم تجحد حقه، وإن كنت مبطلاً في دعوتك إتقيت الله عز وجل، وتبت إليه، وتركت الدعوى.

١٢- وحق المستشير: إن علمت له رايًا أشرت عليه، وإن لم تعلم أرشدته إلى من يعلم.

١٣- وحق المشير عليك: أن لا تتهمه فيما لا يوافقك من رايه، فان وافقك حمدت الله عز وجل.

١٤- وحق المستنصح: أن تؤدي إليه النصيحة وليكن مذهبك الرحمة له والرفق به.

١٥- وحق الناصح: فأن تلين له جناحك، وتصغي اليه بسمعك، فان أتى الصواب حمدت الله عز وجل، وإن لم يوافق رحمته ولم تتهمه، وعلمت انه اخطأ، ولم تؤاخذه بذلك إلا أن يكون مستحقا للتهمة، فلا تعباً بشيء من أمره على حال، ولا قوة الا بالله.

١٦- وحق الكبير: توقيره لسنّه، وإجلاله لتقدمه بالاسلام قبلك، وترك مقابله عند الخصام، ولا تسبقه الى طريق، ولا تتقدمه، ولا تستجهله، وإن جهل عليك احتملته، وأكرمته لحق الاسلام وحرمته.

١٧- وحق الصغير: رحمته في تعليمه، والعفو عنه، والستر عليه، والرفق به والمعونة له.

١٨- وحق السائل إعطاؤه على قدر حاجته.

١٩- وحق المسؤول إن أعطى فاقبل منه بالشكر والمعرفة بفضلته، وإن منع فاقبل عذره.

٢٠- وحق من سرّك الله تعالى ذكره به: أن تحمد الله عز

وجل اولاً ثم تشكره.

٢١- وحق من أساءك: أن تغفو عنه، وإن علمت أن العفو عنه يضر إنتصرت، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ الشورى ٤١

٢٢- وحق أهل ملتك: إضمار السلامة والرحمة لهم، والرفق بمسيئتهم، وتآلفهم واستصلاحهم، وشكر محسنهم، وكف الاذى عنهم، وتحب لهم ما تحب لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك، وان تكون شيوخهم بمنزلة ابيك، وشبانهم بمنزلة إخوانك، وعجائزهم بمنزلة امك، والصغار بمنزلة اولادك.

٢٣- وأما حق أهل الذمة: أن تقبل منهم ما قبل الله عز وجل، ولا تظلمهم ما وفوا الله عز وجل بعهده^(١).

(١) الخصال للصدوق: ٥٧٠ ط مؤسسة النشر الإسلامي. و (من لا يحضره الفقيه) ٦١٨/٢: وتحف العقول للحراني ص ٢٥٥ ووسائل الشيعة: ١٣١/١١ وبحار الأنوار: ٣/٧١ وجامع احاديث الشيعة: ١٠٧/١٤ واعيان الشيعة: ٦٣٨/١... وقد حذفنا بعض الفقرات للايجاز.

٣- الثقافة الحركية في كلمات الإمام زين

العابدين عليه السلام

نماذج من الثقافة الحركية في كلمات الإمام زين

العابدين عليه السلام

١- الدعوة إلى المقاومة والصبر:

كانت معاناة شيعة أهل البيت عليهم السلام في عهد بني أمية عظيمة، فكانوا يلاحقونهم ويطاردونهم في كل مكان، بسط بنو أمية فيه سلطانهم.. وقد بلغ ذلك منهم مبلغاً عظيماً، فكانوا يشكون إلى الإمام زين العابدين عليه السلام ما يلقونه من أذى واضطهاد ومطاردة لهم، ومن التضييق عليهم في أرزاقهم، والتقييد الشديد لحرياتهم، فكان عليه السلام يقول لهم:

(فما تمدون أعينكم؟ لقد كان من كان قبلكم، ممن هو على ما أنتم عليه يؤخذ، فتقطع يده ورجله ويصلب، ثم يتلو عليه السلام: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ

الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ ﴿١﴾.

٢- بين الكلام والسكوت:

المعروف عند الناس، والموروث من الحكماء والمربين أن السكوت أفضل من الكلام، ولو كان الكلام من الفضة كان السكوت من الذهب.

وليس هذا بصحيح على إطلاقه.

وإنما قال به الحكماء والمربون، لأن آفات الكلام أكثر من آفات السكوت، ولكن ذلك لا يبرر تفضيل السكوت على الكلام.

ولو كان السكوت فضيلة لذهب الحق، وذهبت موارد الأنبياء، ولم يكن هناك من يأمر بالمعروف وينه عن المنكر ويدعو إلى الله، وذهب العلم والمعرفة... (والكلام) هو السبيل إلى العلم والمعرفة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، ونقل موارد الأنبياء والأوصياء.

وقد يكون في تفضيل السكوت على الكلام دعم وإسناد لأئمة الظلم في السكوت عن مظالمهم، وسيئات أعمالهم،

(١) بحار الأنوار ٦٧/ ١٩٧ .

وهو ما كان يشيعه بعض المتفقهة من أعوان الظلمة في تلك الأيام: أن السكوت أفضل من الكلام، والقعود خير من القيام، والاضطجاع خير من القعود... إلى آخر ما كانوا يتخذونه تبريراً لدعوة الناس إلى السكوت عن الظالمين والمنحرفين. وقد سئل زين العابدين عليه السلام، عن السكوت والكلام: أيهما أفضل، فقال:

(لكل واحد منهما آفات، وإذا سلما من الآفات فالكلام أفضل من السكوت.

لأن الله عز وجل ما بعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت، وإنما بعثهم بالكلام.

ولا أَسْتَحَقَّتْ الجَنَّةُ بالسكوت.

ولا أَسْتُوجِبَتْ ولاية الله بالسكوت.

ولا تُوقَّيْتُ النار بالسكوت.

ولا يُجَنَّبُ سَخَطُ الله بالسكوت.

إنما كله الكلام، وما كنت لأعدل القمر بالشمس.

إنك تصف فضل السكوت بالكلام، ولست تصف فضل

الكلام بالسكوت^(١).

٣- حث الشباب على طلب العلم:

لمواجهة الخطوط المنحرفة لم يكن هناك أمر أفضل من أن يتفرغ الشباب المؤمنون الصالحون لطلب العلم، ليقوموا بنشر ما ورثه أهل البيت عليهم السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله، إمتثالاً وتنفيذاً لقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾. التوبة / ١٢٢ .

فكان علي بن الحسين عليه السلام يقول للشباب إذا أقبلوا على طلب العلم: (مرحباً بكم. أنتم ودائع العلم، أنتم صغار قوم، يوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين)^(٢).

وكان عليه السلام يقول: (لو علم الناس ما في طلب العلم، لطلبوه ولو بسفك المُهَج وخوض اللجج)^(٣).

وقد تواصل أهل البيت عليهم السلام، من بعد الإمام زين العابدين عليه السلام في دعوة الشباب إلى أن يحملوا عنهم ميراث

(١) الاحتجاج للطبرسي: ٣١٥ .

(٢) أصول الكافي ١ / ٤٢ .

(٣) أصول الكافي ١ / ٥٨ .

رسول الله من العلم... وكانوا يوضحون للناس أن الذي يحملونه من العلم ليس من الرأي والاجتهاد كالذي يحمله غيرهم، وإنما هو علم رسول الله ﷺ وحديثه، حملة عنه أهل بيته كابرًا عن كابر.

وقد قال علي بن الحسين عليه السلام لرجل شاجره في مسألة من الفقه:

(يا هذا، لو صرت إلى منازلنا، لأريناك أثر جبرئيل في رحالنا، أيكون أحد أعلم بالسنة من؟) ^(١).

روى ثقة الإسلام الكليني بسنده عن ابن شبرمة، قال: ما ذكرت حديثاً سمعته من جعفر بن محمد (الصادق) إلا كاد أن يتصدع قلبه. قال: (حدثني أبي، عن جدي، عن رسول الله ﷺ، قال ابن شبرمة: وأقسم بالله ما كذب أبوه على جده، ولا جده على رسول الله ﷺ) ^(٢).

وسأل رجل أبا عبد الله (الصادق) عليه السلام في مسألة، فأجابه فيها، فقال الرجل: أرايت إن كان كذا وكذا ما يكون القول فيها؟ فقال له: مَهْ. ما أجبتك من شيء فهو عن رسول

(١) بلاغة علي بن الحسين عليه السلام للحائري: ١٧١.

(٢) جهاد الإمام السجاد عليه السلام: ١٣٩، نقلاً عن الوافي للكاشاني ٤٢ / ١.

الله ﷺ. لسنا من رأيت في شيء^(١).

وهكذا كان أهل البيت ﷺ يحرصون أن يذكروا الناس بأن ما لديهم من علم ليس من رأي واجتهاد، كما عند الآخرين، وإنما هو ميراث رسول الله ﷺ من الحديث ورثوه عن آبائهم كإبراً عن كابر عن رسول الله ﷺ. وكانوا يحرصون أن يُوجِّهوا شباب شيعتهم أن يحملوا عنهم هذا العلم، ويبلغوه للناس، كما يحدثون به، دون إضافة أو نقص.

٤. المنهج الصحيح للتقييم:

لقد كانت الفترة فترة هرج ومرج للأفكار والمذاهب، وظهرت في هذه الفترة مذاهب وخطوط دينية وثقافات وقيادات دينية منحرفة... وكان بنو أمية يشجعون هذه المذاهب المنحرفة لغاية في أنفسهم. وكان أصحاب المذاهب والخطوط الدينية المنحرفة يتفنون في كسب ثقة الناس وخداعهم، وتغريهم.

(١) نزهة الناظر وتنبية الخاطر للحسين بن محمد بن الحسن، ط / ١٤٠٤، ص

وقد خُذع بهؤلاء جمع غفير من الناس، أخذوا بضلالهم، وتركوا منهج آل محمد ﷺ في الأصول والفروع الذي أوصى به رسول الله ﷺ في حياته مرات كثيرة^(١).

والمشكلة في إغترار الناس بهؤلاء، وإلّا فلن تخلو الأرض من دعاة الباطل وأتباع الشيطان.

والسبيل الصحيح لعلاج هذه المشكلة هو تثقيف الناس بالمقاييس الدقيقة لمعرفة الإنسان الصالح، فإن الثقافة الصحيحة في التقييم تُحصّن الناس في التقييم، وتعلمهم أين يضعون ثقتهم، وتحصّنهم من مزالق الشيطان في العلاقات الاجتماعية، كما أن التقوى تحصّنهم.

والإمام زين العابدين عليه السلام يقدم للناس المقياس الدقيق للتقييم والتصحيح.

ويحذر الناس تحذيراً شديداً من أن يغتروا بالذين يتظاهرون للناس بحسن السمات والهدى، ويُحسنون هذه

(١) ومنه حديث الثقلين الذي يرويه ثقة المحدثين من الشيعة، والسنة، ومنهم الترمذي ومسلم في صحيحهما، والحديث كما يلي في طائفة من الروايات الصحيحة: (إني تارك فيكم ما إن تمسكن به لن تضلوا بعدي كتاب الله وأهل بيتي. لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض). وألفاظ الحديث في المدونات الحديثية مختلفة متعددة، وذلك لأن رسول الله ﷺ كان يكررها كثيراً.

الصناعة، ويتماوتون في منطقهم، وكأنَّ السعي للآخرة
والزهد في الدنيا قد أنهكهم، وسلب منهم قوتهم ونشاطهم،
ويتخاضعون في حركاتهم فيحذر الإمام عليه السلام الناس عن
الاغترار بهم.

فإن في الناس من لا يستطيع ركوب الحرام ونيل الدنيا
من مواردها المحرمة، لا بسبب التقوى، وإنما لعجزه وضعفه
عن نيل الحرام، وليس كل أحد بقادر على ارتكاب الحرام
فإن ارتكاب بعض الحرام يحتاج إلى جرأة وشجاعة قد
يفقدها بعض الناس.

فلا يزالون ينصبون للناس فخاخاً حتى يكسبوا ثقة الناس
ويتمكنوا من الحرام، فإذا تمكنوا من المال الحرام لم
يصدهم عنه تقوى ولا ورع.

ثم يحذر الإمام عليه السلام الناس من الاغترار بالذين يكفون
أيديهم وبطونهم وفروجهم عن الحرام، حتى مع التمكن
منه... فإن شهوات الناس في الحرام مختلفة... فقد يكف
أحدهم نفسه عن وجوه من الحرام، ولكنه يقبل على حرام
قبيح تسمئز منه النفس فيرتكبه... فليس ابتعاده عن الحرام
من التقوى والورع في شيء.

وقد يكف الإنسان نفسه عن كل وجوه الحرام، وهو قادر

عليها، فلا يرتكب منها شيئاً... فلا ينبغي أن يغتر الناس بهم... حتى يعرفوا حجم عقله... فقد يكفّ عن كل وجوه الحرام، ولكنّه لا يرجع إلى عقل متين، فيكون ما يفسده، إذا تصدى لشؤون الناس، أكثر مما يصلحه.

وقد يملك العقل الذي يميز به الصواب عن الخطأ، فلا ينبغي أن يغتر الناس بعقله ورشده، حتى يتضح لهم أن عقله يتبع هواه، أم هواه يتبع عقله، وكيف يكون إقباله على الرئاسة الباطلة... فإذا كان هواه غالباً على عقله، وكان مقبلاً على الرئاسة الباطلة، فيجب على الناس أن يحذروه على دينهم ودنياهم، حتى لو كان يحفظ نفسه عن الحرام، ويعفف بطنه ويده وفرجه عما حرّمه الله... فربّ إنسان يترك الكثير من لذاته من وجوه الحلال والحرام ليكسب ثقة الناس، ويبلغ الرئاسة الباطلة، فإذا بلغها حلّل الحرام، وحرّم الحلال، وتخبّط خبط عشواء. هذه المقاييس كلها باطلة. والمقياس الحق هو أن يجعل الرجل هواه تبعاً لحكم الله، ويحتمل مرارة الحق، وإن شقت عليه على الباطل وإن طاب له.

وهذا هو المقياس الذي لا بد أن يتبعه الناس وهذا المقياس هو (التقوى) و(الورع).

وكل ما دون (التقوى) و(الورع) فلا ينبغي ان يكسب ثقة الناس.

وإذا أخذ الناس بهذا المقياس أمنوا من الوقوع في الضلالات، ولكن مشكلة الناس في الاختيار والتقييم أنّ العواطف تحكمهم، ولو انهم حكّموا عقولهم ومقاييس دين الله في الاختيار، لم يقعوا في الضلالات التي يقعون فيها.

جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام في معركة الجمل، وشكى إليه ما يعانيه من الشكوك والوساوس فيما يصنعونه من قتال الناس في الجبهة المقابلة وفيهم ام المؤمنين عائشة والصحابيان المعروفان الزبير وطلحة، فماذا عساه أن يفعل في هذه المقابلة، وكيف يشهر السيف على جبهة فيها زوجة رسول الله وكبار صحابته؟

فقال عليه السلام له: ويلك إنك لملبوس عليك، إعرف الحق تعرف أهله.

لقد عاش زين العابدين عليه السلام فترة صعبة، يتخبط فيها الناس بين علماء البلاط، والدعاة إلى المذاهب المنحرفة، وحكومات ظالمة طائشة، ومعارضة منحرفة (الخوارج)، وفقهاء يحيدون عن الصراط المستقيم الذي رسمه لهم رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث الثقلين، وخطوط ومذاهب فكرية...

وليس كل الناس يملك القدرة على التشخيص والتمييز.
فيضع عليه السلام في هذا الحديث الميزان الدقيق لمعرفة الحق
عن الباطل، والتمييز بين أئمة الهدى وأئمة الضلال.
ولسنا نحن في عصرنا بأحسن حالاً من العصر الذي كان
يعيشه الإمام زين العابدين عليه السلام... وهذا الحديث ينفعنا ويثقفنا
في الاختيار، كما كان ينفع الناس في عصر على بن
الحسين عليه السلام.

كلمة الإمام زين العابدين في معايير التقييم

فلنسمع إلى الإمام زين العابدين عليه السلام يوضح لنا النهج
الصحيح للاختيار والتقييم.
يقول عليه السلام:

إذا رأيتم الرجل قد حسن سمته وهديه، وتماوت في
منطقه، وتخاضع في حركاته، فرويداً لا يغرتكم.
فما أكثر من يعجزه تناول الدنيا، وركوب الحرام منها،
لضعف نيّته، ومهانتة، وجبن قلبه، فنصب الدين فخاً لها، فهو
لا يزال يختل الناس بظاهره، فإن تمكّن من حرام اقتحمه.
وإذا وجدتموه، يعفّ عن المال الحرام، فرويداً، لا
يغرتكم.

فإن شهوات الخلق مختلفة، فما أكثر من ينبو عن المال الحرام، وإن كثر، ويحمل نفسه على شواء قبيحة فيأتي منها محرماً.

فإذا وجدتموه يعفّ عن ذلك، فرويداً لا يغرّركم. حتى تنظروا ما عُقدة عقله؟ فما أكثر من ترك ذلك أجمع، ثم لا يرجع إلى عقل متين، فيكون ما يفسد بجهله أكثر مما يصلحه بعقله.

فإذا وجدتم عقله متيناً، فرويداً لا يغرّركم. حتى تنظروا، أتع هواه، يكون على عقله، أم يكون مع عقله، على هواه؟ وكيف محبته للرئاسات الباطلة؟ وزهده فيها؟

فإن في الناس من خسر الدنيا والآخرة، يترك الدنيا للدنيا، ويرى أن لذة الرئاسة الباطلة أفضل من لذة الأموال والنعم المباحة المحللة، فيترك ذلك أجمع طلباً للرئاسة، حتى إذا قيل له: اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهادر.

فهو يخطب خطب عشواء، يوفده أول باطل إلى أبعد غايات الخسارة، ويمدّ به - بعد طلبه لما لا يقدر عليه - في طغيانه، فهو يحلّ ما حرم الله، ويحرّم ما أحل الله، لا يُبالي ما فات من

دينه إذا سلمت له الرئاسة التي قد شقي من أجلها.
فأولئك الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعدّ لهم عذاباً
مهيناً.

ولكن الرجل، كل الرجل، نعم الرجل، هو الذي جعل
هواه تبعاً لأمر الله، وقواه مبذولة في رضا الله، يرى الذل مع
الحق أقرب إلى عز الأبد، من العز في الباطل، ويعلم أن قليل
ما يحتمله من ضررائها يؤديه إلى دوام النعيم في دار لا تبيد
ولا تنفد، وأن كثير ما يلحقه من سررائها - إن تبع هواه -
يؤديه إلى عذاب لا انقطاع له ولا زوال.

فذلكم الرجل نعم الرجل. فبه فتمسكوا، وبسنته فاقتدوا،
وإلى ربكم فتوسّلوا، فإنه لا ترد له دعوة، ولا يخيّب له
طلبه^(١).

٥- من أين يتلقى المؤمنون الحكمة؟

عن الإمام زين العابدين عليه السلام لا تحتقروا اللؤلؤة النفيسة أن

(١) الحدائق الناضرة: ٥٨/١٠ و ٥٩، وجواهر الكلام: ٣٠٠/١٣-٣٠١، ووسائل
الشيعة: ٣١٧/٨-٣١٨ و ٣٩٤/٥، والاحتجاج للطبرسي: ٥٣/٢ وبحار الأنوار:
٨٤/٢ و ١٨٤/٧١ وجامع احاديث الشيعة: ٤٢٧/٦ و ٤٦٤/١٣.

تجتلبها من الكبا^(١) الخسيسه. فإن أبي حدثني، قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «ان الكلام من الحكمة لتلجلج في صدر المنافق نزاعا الى مظانها حتى يلفظ بها فيسمعها المؤمن، فيكون أحق بها واهلها فيلقفها»^(٢).

إن حاجة المؤمن الى الحكمة شديدة وعظيمة لأن الحياة بالنسبة اليه جهاد واجتهاد، جهاد للهوى (وهو الجهاد الأكبر)، وجهاد للطاغوت (وهو الجهاد الأصغر)، واجتهاد في العمل لتحقيق مرضاة الله ولبلوغ الكمال والقرب الى الله وخلافة الله على الأرض، وهذه الحياة الكادحة تحوجه دائماً الى الحكمة التي تمنحه البصيرة والنور، وتسدده وتبصره، وتمنحه القوة والعزيمة على طريق ذات الشوكة.

وهذه كلها يجدها المؤمن في الحكمة، والحكمة، كما ورد في الحديث، ضالة المؤمن يبحث عنها ويسعى اليها أينما يجدها لانجاح اعماله وجهاده واجتهاده وسعيه وكدحه

(١) الكبا المزبلة والاوزاخ المتجمعة على المياه والخسيسه الحقيرة.

(٢) آمالي الطوسي ص ٦٢٥ وبحار الأنوار: ٩٧/٢ وبلاغه الإمام علي بن الحسين: ص ٢٢٢.

وتسددها.

حتى لو كانت الحكمة بيد المنافق والكافر، يسعى إليها المؤمن، وليس على وجه الأرض من هو أحق بها منه، فيتلقفها منه كما يتلقف الناس الدينار والدرهم.

إنّ هناك طائفة من الحكم تؤدي إلى إنجاح المشاريع والأعمال التي ينهض بها الإنسان في حياته... وهذه الحكم يكسبها الإنسان بالتجربة والخبرة، وليس بوسع الإنسان أن يكسب بتجاربه الشخصية كلما يحتاجه من عوامل التوفيق والنجاح... ولا غنى له من أن يتزود بتجارب الآخرين وخبراتهم في إنجاح المشاريع والأعمال.

وهذه الخبرات والتجارب قد نكسبها من ناس غير صالحين، إلاّ أنها نافعة ومفيدة وضرورية للمؤمنين في مشاريعهم وأعمالهم وتحركهم، رغم أن الذين يحملونها غير صالحين، فلا بد وأن نسعى إليها ونتلقاها ونتلقفها ونكسبها منهم، وأن كانوا غير صالحين.

وليس على المؤمنين من بأس أن يكسبوا خبرات العمل والحركة وتجاربها من أيدي أناس غير صالحين وغير مؤمنين.

فإن الحكمة ضالة المؤمن، كما ورد في الرواية، يتلقفها

اينما وجدها، وإن كانت في موضع غير نظيف.
والحكمة تتلجلج (تتردد) في صدور المنافقين، فإذا نطقوا
بها، لم يكن أحد أحق بها من المؤمن، لئلا يبدأوا مشاريعهم
وأعمالهم وتجاربهم من نقطة الصفر، وإنما يتحركون من
حيث انتهى الآخرون إليها في تجاربهم وخبراتهم.
وهذا هو ما يريده الإمام زين العابدين عليه السلام في كلمته التي
رويناها قبل قليل.
وهذه الكلمة جديرة بأن نتوقف عندها بعض الوقت.

ماهي الحكمة؟

الحكمة مشتقة من الاحكام بمعنى الاتقان الذي لا يَبْقَى
في العمل ثغرة، ولا ثلمة، ولا خللاً.
ومن خلال استعمالات الكلمة في القرآن والسنة
والنصوص والادبيات الإسلامية نجد أنَّ هذه الكلمة تطلق
على ثلاث معانٍ، على نحو الاشتراك المعنوي.
١- الحكمة بمعنى المعارف الحقة التي لا ينفذ إليها
الباطل، نحو معرفة المبدء والمعاد، ومعرفة الجلال والجمال
الالهي (معرفة الله ومعرفة صفاته الحسنى) ومعرفة سنن الله
تعالى في الكون والتاريخ والمجتمع، ومعرفة علاقة العبد بالله

من الانابة والمخافة والتوبة والتضرع والخشية والطاعة والحب والشكر والثناء والحمد والدعاء والحياء والتضرع والسكون الى ذكر الله وغير ذلك من وجوه العلاقة بالله، وهو محصن العقل والوعي والفهم والبصيرة.

ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ لقمان/١٢.

وقد ورد في تفسير الحكمة في هذه الآية عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بأنها (الفهم والعقل)^(١)

بمعنى وعي المبدء والمعاد ووعي الجلال والجمال ووعي موضع العبد من الله تعالى وعلاقته به.

ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ مريم/١٢.

وقوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ البقرة/٢٦٩.

وقد ورد في تفسير الحكمة في هذه الآية الكريمة عن

(١) بحار الأنوار: ٢٩٩/٧٨ ح ١.

الإمام الباقر عليه السلام أنها هي (المعرفة)^(١)

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «رأس الحكمة مخافة الله»^(٢) .

وعنه عليه السلام: «خشية الله رأس كل حكمة»^(٣) .

وعنه عليه السلام: «رأس الحكمة طاعته»^(٤) .

وهذا باب واسع من الحكمة، وحسبنا منها هذا البيان.

٢- معرفة ثقافة الوحي في حدود الله تعالى في علاقة الإنسان (بنفسه) و(بالآخرين) من مؤمن وغير مؤمن واعداء وخصوم وأصدقاء، والقريبين منه والبعداء و(بالطبيعة)، وكيف يتعامل الإنسان مع هذه الأطراف الثلاثة وما يحبه الله وما يمجته، في هذه العلاقات ونهجها وإدارتها .

وهي منظومة واسعة من الحدود الإلهية والأفكار والمفاهيم والمعارف والثقافات النظرية والعلمية التي جاء بها الأنبياء من عند الله تعالى من خلال الوحي في مجال العلاقة بالنفس

(١) بحار الأنوار: ٢١٥/١ ح ٢٣.

(٢) كنز العمال للمتقي الهندي: ح ٥٨٧٣.

(٣) كنز العمال للمتقي الهندي: ح ٥٨٧٢.

(٤) آمالي الصدوق: ص ٣٩٤.

والمجتمع والطبيعة ، وتغلب عليه صفة الموعظة ولعلّ من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ﴾ البقرة / ٢٣١

٣- الوسائل العمليّة التي تمكّن المؤمن من تحقيق أهدافه وغاياته التي يسعى اليها في الحياة الدنيا. وهذه الوسائل تكتسب غالباً بالتجربة والخبرة العمليّة، كما تكتسب من تجارب الآخرين وخبراتهم.

ولعل الى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ النحل / ١٢٥.

وهذه التجارب والخبرات كثيرة في حقول مختلفة من الحياة مثل التجارب القيادية والادارية وتجارب السوق والتجارة، وتجارب العلاقات الاجتماعية والتجارب العسكرية وتجارب الحياة الزوجية وغير ذلك، هذه التجارب تمكّن الإنسان من تحقيق غاياته وأهدافه، فإن كان مؤمناً تمكنه من تحقيق رضا الله تعالى والوصول الى مرضاته، وان كان فاسقاً ومناً فقام تمكنه من الوصول الى اهدافه وغاياته ايضاً.

فهي وسائل تمكن الإنسان من تحقيق اهدافه... كل بحسبه وقد استعملت هذه الكلمة في المعنى الاخير كثيراً في الأحاديث الإسلامية.

عن الإمام الباقر عليه السلام: قيل للقمان: ما الذي أجمعت عليه من حكمتك؟ قال: ألا أتكلف ما قد كفيته، ولا اضيع ما ^(١) وليته

وعن الإمام الكاظم عليه السلام قيل للقمان ما يجمع من حكمتك؟

قال: لا أسأل عما كُفيت، ولا اتكلف ما لا يعينني ^(٢)

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «أن الرفق رأس الحكمة» ^(٣)

بماذا يكسب الإنسان الحكمة:

القسم الأول والثاني من الحكمة متقاربان ويكتسبها الإنسان بالتقوى وبذكر الله ومغالبة الهوى وغض البصر، وكف اللسان عما حرم الله طبقاً لما ورد في مصادر الوحي. وقد ورد في حديث المعراج المعروف وهو من الأحاديث القدسية الشريفة.

يا أحمد ان العبد إذا جاع وحفظ لسانه عَلَّمَتْهُ الحكمة،

(١) قرب الاسناد ص ٧٢.

(٢) بحار الأنوار: ٤١٧/١٣.

(٣) كنز العمال: ٥٤٤٤.

وتكون حكمته له نورا وبرهانا وشفاء ورحمة، ويعلم ما لم يكن يعلم، ويبصر ما لم يكن يبصر، فأول ما أبصره عيوب نفسه حتى يشتغل بها عن عيوب غيره، وأبصره دقائق العلم، حتى لا يدخل عليه الشيطان.

يا أحمد ليس شيء من العبادة أحبَّ الي من الصمت والصوم، فمن صام ولم يحفظ لسانه كان كمن قام ولم يقرأ في صلاته، فأعطيه أجر القيام ولم أعطه أجر العبادة^(١)

قيل للقمان عليه السلام أأنت عبد آل فلان؟ قال: بلى قيل: فما بلغ بك ما نرى؟ قال: صدق الحديث، وأداء الأمانة، وترك ما لا يعنيني، وكف لساني، وعفة طُعمتي فمن نقص عن هذا فهو دوني ومن زاد عليه فهو فوقني ومن عمله فهو مثلي^(٢)

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «من زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه»^(٣)

(١) غرر الحكم: حكمة ٢٢٧٢.

(٢) جامع احاديث الشيعة للسيد البروردجدي: ١٣ ص ٥٠٥-٥٠٦ عن تنبيه الخواطر: ص ٢٣٠ ح ٢. ومجموعة الورام: ٢٤٧/٢. وميزان الحكمة: ٣٣٣/٢ ومستدرک الوسائل: ١٨/٩.

(٣) الكافي: ١٢٨/٢ ح ١.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: القلب يتحمل الحكمة عند خلو
البطن، والقلب يمج الحكمة عند أمتلاء البطن ^(١).
وعن أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً: لا تجتمع الشهوة
والحكمة ^(٢).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: الغضب ممحقة لقلب الحكيم،
ومن لم يملك غضبه لم يملك عقله ^(٣).

عن السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام:
بحق أقول لكم: إنّ الزرع ينبت في السهل، ولا ينبت في
الصفاء، وكذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع، ولا تعمر
في قلب المتكبر الجبار، ألم تعلموا أنه من شمش برأسه الى
السقف شجّه، ومن خفض برأسه عنه استظلّ تحته وأكّنه،
وكذلك من لم يتواضع لله خفضه، ومن تواضع لله رفعه.
إنه ليس على كل حال يصلح العسل في الزقاق ^(٤)

(١) تنبيه الخواطر: ١١٩/٢.

(٢) غرر الحكم: ١٠٥٧٣.

(٣) بحار الأنوار: ٢٥٥/٧٨. ومستدرک سفينة البحار: ٩٧/٢.

(٤) الزقاق: ج زق وهو وعاء للسقاء من الجلد.

وكذلك القلوب ليس على حال تعمر الحكمة فيها، إن الزق مالم ينخرق أو يقحل^(١) أو يتفل^(٢) فسوف يكون للعسل وعاء وكذلك القلوب مالم تخرقها الشهوات ويدنسها الطمع ويقسيها النعيم فسوف تكون أوعية للحكمة^(٣).

ومن العوامل التي تكسب الإنسان الحكمة التفكير. وقد ورد عن رسول الله ﷺ في هذا المعنى: «لم يكن لقمان نبياً، ولكن كان عبداً كثير التفكير، حسن اليقين، أحب الله فاحبه، ومنّ عليه بالحكمة»^(٤).

أذن الحكمة يتلقاها الإنسان بقدر ما يروض نفسه بالتقوى، وطاعة الله، وذكر الله تعالى، وكفّ النفس عن الهوى، وكفّ اللسان عن الشرثرة، وضبط الجوارح والجوانح عن الحرام، والامتناع عن الاستغراق في اللذات المباحة. بهذه العوامل الثلاثة: (الذكر، والتقوى، والزهد):

(١) يقحل: ييبس.

(٢) يتفل: تتغير رائحته.

(٣) تحف العقول للحراني ص ٥٠٤. وبحار الأنوار: ٣٧/١٤.

(٤) تفسير الميزان: ١١٦/١٦.

ذكر الله تعالى (الذكر)
وكف النفس عما حرم الله (التقوى).
والتححرر عن التعلق بالدنيا وطياتها (الزهد).
... بهذه العوامل الثلاثة يفتح الله قلوب عباده للحكمة
وتتنزل على قلوبهم الحكمة من عند الله.
ولعل الآية الكريمة من سورة البقرة: ٢٨٢ تشير الى ذلك:
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ﴾.
وقد روى عن أمير المؤمنين عليه السلام: «من خزائن الغيب تظهر
^(١)
الحكمة» .

ان هذا القسم من الحكمة تنزل على قلب الإنسان من عند
الله، اذا حضر العبد قلبه لاستقبال الحكمة من عند الله،
واستقاها من مصادر الوحي. ولا يجوز ولا يصح ان نأخذ هذا
القسم من الحكمة من أي يد، إلا أن نطمئن الى نظافتها
وسلامتها وأمانتها وارتباطها بمصادر الوحي، ولو كان ذلك
عبر وسائط عديدة.

(١) غرر الحكم: ٩٢٥٤.

قيمة الحكمة في حياة الإنسان:

إنَّ للحكمة دوراً عظيماً في بناء شخصية الإنسان وتمكينه من أهوائه وشهواته، وتجريده عن التعلقات التي تعيقه عن الحركة إلى الله، كما تفتح قلب العبد على فيوضات النور والرحمة النازلة من لدن الله على قلوب الصالحين من عباده.

عن رسول الله ﷺ: «كاد الحكيم أن يكون نبياً»^(١).
وعنه ﷺ أيضاً: «كلمة حكمة يسمعها المرء خير من عبادة سنة»^(٢).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «من خزائن الغيب تظهر الحكمة»^(٣).

وإن للحكمة من التأثير والنفوذ في قلوب الناس وعقولهم ما يقل نظيره في العوامل الأخرى التي تدخل في تكوين شخصية الإنسان.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: لو أُلقيت الحكمة على الجبال

(١) كنز العمال: ٤٤١٢٣.

(٢) بحار الأنوار: ٤٣٢/١٣.

(٣) غرر الحكم: ٩٢٥٤.

لقلقلتها^(١).

وهي كلمة عظيمة تستوقف الإنسان. لو أنَّ الجبال على شموخها وعظمتها كانت تعي الحكمة لاضطربت من قوة تأثير الحكمة ونفوذها.

القسم الثالث من الحكمة:

وهذا القسم يأتي للناس في الغالب من خلال التجربة والخبرة، التي يكسبها الإنسان بتجاربه الشخصية، كما يكتسبها من تجارب الآخرين، ويخسر الإنسان كثيراً، إذا اقتصر في كسب الحكمة من هذا القسم على تجاربه الشخصية.

إنَّ حياة عقلاء العالم ملئية بالتجارب النافعة في تحقيق الغايات الصعبة، وفي تذليل المهمات الشاقة، ولا بد للمؤمنين أن يتزودوا بما يكسبه الناس عامة الناس من الحكمة، سواءً منهم المؤمن أو المنافق أو الكافر، فإن الحكمة سلاح وقوة، تمكّن الإنسان أن يحقق غاياته وأهدافه وتُنَجِّحُ المشاريع التي ينهض بها في علاقته بالناس، وفي إدارة الدولة وقيادتها، وفي

(١) بحار الأنوار: ١٢/٧٨ ح ٧.

إدارة الأعمال والمشاريع الاقتصادية وفي طلب العلم، وفي كسب الاصدقاء، وفي انجاح الثورة، وفي الابداع العلمي والفني، وفي قيادة الجيش وإدارته، وفي الدخول في الحروب، وفي المشاريع السياسية وأمثال ذلك.

في هذه المشاريع والأعمال لا بد أن يستعين المؤمنون بتجارب الناس من قبلهم، ويكسبون هذه التجارب، حتى لا يبدأوا من نقطة الصفر، وليس على المؤمنين من بأس أن يكسبوا هذه التجارب، من المؤمنين أو المنافقين أو الكفار... فإن التجربة سلاح وقوة، نكسبها من أي مصدر نعرفه.

وهذا هو معنى الثالث من الحكمة.

وإلى هذا المعنى من الحكمة تشير نصوص الروايات الإسلامية.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: الحكمة ضالة المؤمن، فاطلبوها، ولو عند المشرك تكونوا أحق بها وأهلها ^(١).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: الحكمة ضالة كل مؤمن فخذ

(١) امالي الطوسي: ٦٢٥.

الحكمة ولو من أهل النفاق^(١) .

وهذا المعنى هو المقصود بالكلمة التي يرويها الرواة عن زين العابدين عليه السلام: لا تحتقروا اللؤلؤة النفيسة أن تجتلبها من الكبا الخسيسة، فإن أبي حدثني قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: إن الكلام من الحكمة لتلجلج في صدر المنافق نزاعاً الى مظانها، حتى يلفظ بها، فيسمعها المؤمن، فيكون احق بها وأهلها فيلقفها^(٢) .

٦- الصبر والشبات:

كانت الأيام صعبة، وكان بنو أمية يتعاملون مع خصومهم من شيعة أهل البيت عليهم السلام بقسوة وضراوة، يلاحقونهم، ويضايقونهم في أرزاقهم ويحبسونهم، ويقتلونهم، ويطاردونهم.

ولقد كانت هذه الفترة واحدة من أشق الفترات التي مرت

(١) نهج البلاغة حكمة رقم ٨

(٢) بلاغة الإمام علي بن الحسين عليه السلام لشيخ جعفر عباس الحائري: ص ٢٢٢.

على شيعة اهل البيت عليهم السلام، على أيدي عمال بني أمية وجلاوزتهم.

فكان زين العابدين عليه السلام يجد فيهم أحيانا تذمراً ووهنا وشكوى، وسؤالاً: متى يكون الفرج من هذا الضيق؟ وكأنهم كانوا يستبطئون الفرج الذي وعدهم الله تعالى به، يمدون أعينهم الى فرج قريب من كل هذا الضيق والعسر، فلا يجدونه، فكان يقول لهم زين العابدين عليه السلام: «فما تمدون أعينكم؟ ألستم آمنين. لقد كان من قلبكم، ممن هو على ما أنتم عليه، يؤخذ فتقطع يده ورجله ويصلب! ثم يتلو الشّاية: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ.....﴾ البقرة/٢١٤»^(١).

إن الآية التي إستشهد بها الإمام زين العابدين عليه السلام في تثبيت اصحابه وشيعته أمام الارهاب الأموي آية في كتاب الله وفي ضوء هذه الآية، يستهين الإنسان بما يلقاه في جنب

(١) تفسير نور الثقلين للشيخ الحويزي: ٢٠٩/١.

الله من اعداء الله، بالقياس الى ما كان يلقاه أصحاب
 الانبياء عليهم السلام من قبلنا، اتلوها عليكم، فاسمعوها:
 ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ
 خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ
 الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ؟ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ
 قَرِيبٌ﴾ البقرة/ ٢١٤.

إنَّ الطريق الى الجنة طريق صعب عسير، لا ينالها الناس
 الا بعد اجتياز الطريق الصعب العسير، طريق ذات الشوكة.
 يقول تعالى: ﴿وَلِيْمَحْصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ
 الْكَافِرِينَ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ
 جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ آل عمران/ ١٤١-١٤٢.
 إنَّ الناس ينشطرون من قبل أن تقوم الساعة وقبل أن
 يدخل المؤمنون الجنة الى شطرين، الذين جاهدوا وصابروا،
 والذين أخلدوا الى الأرض وتثاقلوا عن الجهاد وجزعوا عن
 القتال ورضوا بالحياة الدنيا، فيرزق الله المؤمنين الذين علم الله
 منهم الجهاد والمصابرة الجنة، والذين أَسَفُوا، وأخلدوا الى
 الحياة الدنيا، ورضوا بها مرجوون لرحمة الله، أن شاء غفر

لهم، وإن شاء حاسبهم وعاقبهم على خلودهم الى الدنيا،
وتثاقلهم عن القتال في سبيل الله.

يقول تعالى:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ
يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ
بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ التوبة/١٦.

ولا يدخل الناس الجنة الا بعد أن يفرز الله (يعلم الله)
الذين جاهدوا منهم، وأخلصوا ولاءهم لله تعالى، ولم يتخذوا
من دون الله ورسوله والمؤمنين أولياء يسرون اليهم بولاءهم
وحبهم (وليجة) في السر. فإن الله تعالى خبير بسرهم وعلنهم.

الفهرس

الأبعاد الثقافية والسياسية والاجتماعية لحياة الإمام	
زين العابدين عليه السلام	٥
المعارضة الشيعية	١١
المحور السياسي والثقافي في سيرة الإمام زين	
العابدين عليه السلام	١٧
١- المحور السياسي في منهج تعامل الإمام علي	
بن الحسين عليهما السلام مع حكام بني امية	١٩
أ - موقف الإمام عليه السلام من الثورة المسلحة	٢١
الإمام زين العابدين يقيم أول مجلس عزاء	
للحسين عليه السلام عند مدخل المدينة:	٢٤
إضطهاد وارث كربلاء	٢٦
موقف الإمام عليه السلام من ثورة أهل المدينة (الحرّة):	٢٩
ملاحظات على ثورة المدينة:	٢٩
الإمام السجاد عليه السلام في ظروف الاضطهاد الأموي:	٣٦
ب - سياسة المقاطعة والمعارضة لحكام بني أمية	٤١

مع عبد الملك بن مروان.....	٤١
الدعاء على الظالمين:.....	٤٥
التحذير عن التعاون مع الظالمين.....	٤٦
مع الزهري.....	٤٨
رسالة الإمام عليه السلام إلى محمد بن مسلم الزهري.....	٥٠
حوار مع الزهري.....	٥٥
حوار الإمام مع عباد البصري:.....	٥٥
٢- المحور التربوي في إعداد الجماعة الصالحة	٥٩
الحالة السياسية والاجتماعية في عهد بني أمية.....	٦١
الموارث النبوية الثلاثة:.....	٦١
الانتكاسة.....	٦٥
الواقع السياسي والديني الذي عاشه علي بن	
الحسين عليه السلام :.....	٧٠
بناء الجماعة الصالحة:.....	٧١
ثقافة الجماعة الصالحة في تراث زين العابدين عليه السلام .	٧٦
ثقافة الجماعة الصالحة.....	٧٧

٧٩	١ - ثقافة العلاقة بالله
٨٠	باقية من دعاء الأسحار
٨٤	دعاء الاضطراب:
٨٤	منازل الاضطراب
٨٥	معنى الاضطراب:
٨٧	الانقطاع والاضطراب
٩٣	كيف يلجأ الإنسان إلى الله في أيام اضطرابه:
٩٤	عودة الى دعاء الاضطراب:
	٢ - الحقوق والمسؤوليات المتبادلة داخل الجماعة
٩٧	الصالحة وفي وسط الأمة
٩٧	رسالة الحقوق:
٩٧	١- مبدأ الحقوق كلها هو الله تعالى:
٩٩	٢- موقع المسؤولية في حياة الناس:
١٠٢	٣- الحقوق التي تنظم شبكة العلاقات:
١٠٣	٤- الأبعاد الأربعة للشبكة:
١٠٥	٥- الحقوق الذاتية:

- ٦- علاقة الإنسان بفعله ومسؤوليته عنه: ١٠٨
- ٧- التبادل في الحقوق: ١٠٩
- رسالة الإمام زين العابدين عليه السلام في الحقوق: ١١١
- تفصيل الحقوق: ١١٣
- حق الله: ١١٣
- حق النفس: ١١٣
- حقوق الأعضاء: ١١٣
- حقوق الأفعال: ١١٤
- حقوق الأئمة ١١٥
- حقوق الرعية: ١١٦
- حقوق الرحم: ١١٧
- الحقوق الثابتة لعامة الناس: ١١٨
- ٣- الثقافة الحركية في كلمات الإمام زين
العابدين عليه السلام ١٢٣
- نماذج من الثقافة الحركية في كلمات الإمام زين
العابدين عليه السلام ١٢٣

١- الدعوة إلى المقاومة والصبر:	١٢٣
٢- بين الكلام والسكوت:	١٢٤
٣- حثّ الشباب على طلب العلم:	١٢٦
٤- المنهج الصحيح للتقييم:	١٢٨
كلمة الإمام زين العابدين في معايير التقييم	١٣٣
٥- من أين يتلقى المؤمنون الحكمة؟	١٣٥
ماهي الحكمة؟	١٣٨
بماذا يكسب الإنسان الحكمة:	١٤٢
قيمة الحكمة في حياة الإنسان:	١٤٧
القسم الثالث من الحكمة:	١٤٨
٦- الصبر والثبات:	١٥٠
الفهرس	١٥٥

